مجلة شهرية

نـــــور المسيح يسوع المسيح الـــــمسيـــــح

ΧΡΙΣΤΟΥ الله ابن ΦΩΣ

عدد: 186 Issue No:

شهر شباط February 2023

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

دخول السيِّد المسيح إلى الهيكل

قنداق الدخول (باللحن الأول): أيها المسيح الاله المحب البشر وحده. يا من بولادته قدَّس مستودع العذراء. وبارك يدي سمعان لائق البركة. وتداركنا نحن فخلصنا. إحفظ رعيتك في سلام اثناء الحروب. وأيِّد الملوك الذين احببتهم.

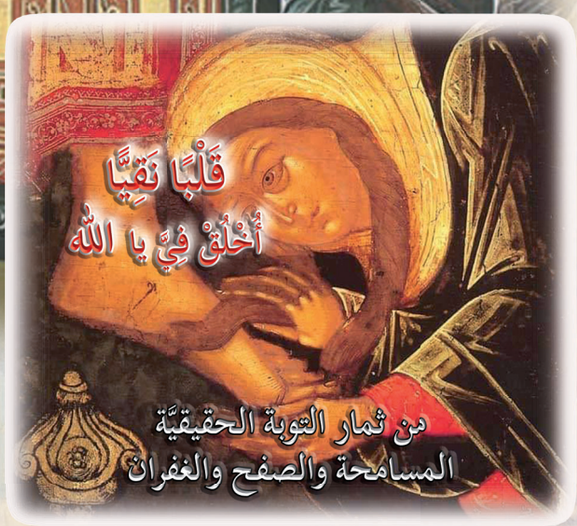

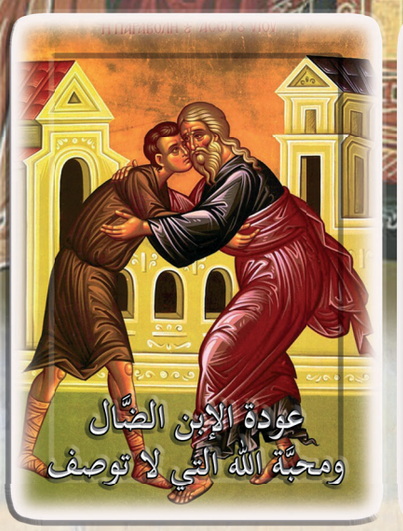

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة الأحتفال بعيد القديس سمعان الشيخ الحاضن (القابل) للإله

16/02/2021

«أَعْلَنَ الرَّبُّ خَلاَصَهُ. وَكَشَفَ قُدّامَ الأُمَمِ كلِّها عدلَهُ... فَنَظَرَت جميع أَقَاصِي الأَرْضِ خَلاَصَ إِلهِنَا.» (مز٩٧: ٢-٣)، هذا ما يتفوهُ بِهِ صاحب المزمور.

إخوتنا المحبوبين بالرَّبِ يسوع المسيح،

أيها المسيحيُّون الأتقياء والزوار الكرام،

بما أنّ كنيسة المسيح المقدسة مصغيةٌ للأقوال الدَّاؤودية: «هَلِّلوا لِلرَّبِّ كُلَّ الأَرْضِ. سبِّحوا وهلِّلوا ورَتِّلوا للرَّبِّ» (مز٩٧: ٤). لهذا جمعتنا اليوم ذكرى عيد اللقاء في هذا المكان والموضع المقدَّس حيث لا يزالُ هنا إلى اليوم **قبر الشيخ سمعان الصديق القابل للإله**، لكي نُعيّد لتذكاره من جهةٍ، ومن الجهة الأخرى لمشاركتِهِ في الحدث التاريخي لدخول **الطفل الجديد ربنا يسوع المسيح إلى مَقْدِسِ اللهِ أي هيكل سليمان.**

لما أبصرَ **الشيخ** بعينيهِ الخلاص الذي وافى الشعوب من **الله**. هتفَ إليكَ أيها **المسيحُ** قائلاً: «أنتَ إلهي». وبتوضيحٍ أكثر أيْ يا ربُّ عندما رأى الشيخُ سمعان بعينيهِ الخلاصَ الذي أتى لجميعِ الشعوب صرخَ بصوتٍ عظيمٍ قائلاً: أيُّها المسيحُ أنتَ هو إلهي الذي وُلِدَ من الآب. هذا ما يتفوه بِهِ مُرنِمُ الكنيسةِ **القديس قُزماس** الذي أَصْغى **لشهادةِ لوقا الإنجيليّ الصادقة** وهي:« فَأَتَى بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ بِالصَّبِيِّ يَسُوعَ أَبَوَاهُ، لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ، أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ اللهَ وَقَالَ: الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ.» (لوقا ٢: ٢٧-٣٢).

وبحسبِ تفسيرِ آباءِ الكنيسةِ المتوشِّحينَ باللهِ، إنَّ خلاصَ **الله** الذي رأتهُ عينا الشيخ سمعان ما هو إلَّا **المسيح**. **فالقديس ثيوفيلكتوس** يقول: «بأن الخلاص الذي قاله الشيخ سمعان هو تجسد ابن الله الوحيد». وأما **زيغافينوس** فيضيفُ: «بأنَّهُ الخلاصُ الصائرُ للبشرِ.» وأمّا **باسيليوس الكبير** فيوضّح: «بأنّ الكتابَ المقدس يُسمي المسيح الإله بأنّهُ هو الخلاص.» وبحسب **أثناسيوس الكبير**: «فإن الخلاص بالنسبة لنا هو حضورُهُ بالجسد». وأما **كيرلُّس الإسكندري** فيقول: «إن خلاص المسيح قد أُعِدَّ من قَبْلِ تأسيس العالم، ولكنهُ أُظهِرَ في الأزمنة الأخيرة.»؛ مستندًا بأقوالِهِ هذه على كرازة **القديس بطرس الرسول**:«عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ، مَعْرُوفًا سَابِقًا قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلكِنْ قَدْ أُظْهِرَ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ» (١ بطرس١: ١٨-٢٠).

قد أصبحَ جَلِيًّا كما يُؤَكِّدُ **القديس يوحنا الدمشقي** بأنّ خلاص **الله** هو كلمةُ **الله** نفسهُ الذي تجسَّدَ من **الرُّوح القُدُس ومن مريم العذراء** في ملءِ الزَّمان لأجلِ خلاصنا، وتأنَّسَ ووُلِدَ منها بغيرِ استحالةٍ.

لَمْ يعترف فقط البارُّ سمعان بأنّ الطفلَ الذي حملهُ على أحضانهِ هو **المسيحُ** مُخلِّصُ العالم، بل قد صارَ أيضًا معاينًا للنُّور غير المخلوق الذي لا يُسْبَرُ غورهُ أَيْ ألوهةِ **المسيح** كما يُعلّم بوضوح **القديس باسيليوس الكبير**، أَنَّ حنة تفرحُ و سمعان يضمُّهُ على ذراعيه، ويسجدون للإله العظيم الذي صار طفلًا، فلا يزدرون بِالْحَدَثِ المنظور بل يمجدون عظائم ألوهة «الطفل» فالشيخ سمعان وحنة النبية رأيا القوّة الإلهيَّة التي كانت في **المسيح** «كنورٍ عبر أغشيةٍ زجاجيَّة من خلال الجسد البشري»، تمامًا كما نُبصر النور في المنزل عبر النافذة، أو كما نُبصر النور عبر الأنوار الزجاجيَّة، هنا أيضًا فإن طاهر القلب يرى عبر جسد **المسيح** نور الألوهيَّة غير المعلوم وغير المرئي للآخرين.

من الجدير بالذكر بأنَّهُ «كَانَ قَدْ أُوحِيَ (لسمعان) بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ.» (لوقا ٢: ٢٦)، ولكن أيضًا لم يتوقف أبدًا البارُّ سمعان طيلةَ حياتِهِ عن حفظ عيْنَيْ قلبه طاهرتين لأنَّ **الرَّبَّ** يقول:«طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ.» (متى ٥: ٨)، وسليمان الحكيم يهتِفُ قائلًا: «نُورُ الصِّدِّيقِينَ يُفَرِّحُ، وَسِرَاجُ الأَشْرَارِ يَنْطَفِئُ» (أمثال ١٣: ٩).

يتميَّزُ الشيخ سمعان بأنّهُ من الشخصيات العظيمة ولا سيما أنبياءُ

العهد القديم وذلكَ لأنّهُ استحقَ أن يَسجُدَ للإلهِ العظيمِ كطفلٍ صغيرٍ، الذي هو **المسيح** بَيْد أنَّ أنبياءَ العهد القديم قد سَبَقَ وتنبأوا بتجسدِ **كلمة الله المسيح** من **البتول**.

إنّ وجودَ رفاتِ القديس سمعان غير البالية، يُشَكِّلُ دليلًا قاطعًا لشهادة النِّعمةِ والمجد، اللتينِ حَظِيَ بهما من قبلِ **الرَّبِّ** كما يهتفُ صاحب المزمورِ قائلًا: «نورٌ أشرق على الصدِّيق والفرح للمستقيم قلبهم» (مزمور٩٦:١١). وهذا يعني بحسب **القديس كيرلُّس الإسكندري**: أنَّ النُّورَ قد أشرقَ أيْ قد بزغَ، أمَّا في الإنسان الصالح والبارِّ فإنَّ النورَ الإلهيّ يُشرقُ في قلبهِ وعقلهِ على الدوام.

إنّ النُّورَ الإلهيّ الذي أشرقَ للصدِّيقين ما هو إلَّا من قوةِ **الرُّوح القُدُس** المنيرة والتي من خلالها تنبَّأَ الشيخ سمعان نبويًّا، أي يقول لِمَرْيَمَ أُمِّهِ: (أَيْ لأم الطفل يسوع): «هَا إِنَّ هذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ. وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ، لِتُعْلَنَ أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ» (لو٢:٣٤-٣٥).

ويُفَسِّرُ **القديس كيرلُّس الإسكندري** ما سبقَ قائلًا: «إنَّ عمانوئيل قد وُضِعَ من الله الآب لأجلِ أساسات صهيون. إذ هو حجرُ زاويةٍ مختارٌ كريمٌ والذي يؤمنُ بهِ لن يَخْزَى، ولكنْ كُلُّ من يَسقطُ عليهِ هذا الحجر فإنهُ يَسْحَقُهُ» (أُنظر متى٢١:٤٤). وأما **زيغافينوس** فيقول: بأنَّ البارَّ سمعان قد سَبَقَ وتَنبأَ عن أحزانِ العذراءِ مريمَ أُمِّ **يسوعَ المسيح** إذ دَعَا الآلام الشَّريفة الرَّهيبة بالسَّيف الذي سيجوز قَلْبَ **أُمِّ الإله** عندما تُبصِرُ ابنها مُسَمَّرًا على الصليب، ويُبَيِّنُ بهذا الصدد أيضًا **القديس كيرلُّس الإسكندري** قائلًا: «**سَتُطعَن القديسة مريم العذراء بسيف الآلام عند معاينتها جَسَدَ ابنها المولود منها معلَّقًا على الصليب**».

ختامًا نتضرَّع لمن نُكَرِّمهُ اليوم القديس البارّ سمعان القابل الإله لكي نحن المؤمنين **بكلمة الله ربنا يسوع المسيح** الذي وُلد من **العذراء مريم**، لا نخزى، بل بتوسلاتهِ يؤهِّلنا لملكوت السَّماوات، ومع المرتل نهتف قائلين: «فالمبدع الكل يُخلي ذاته والأزلي يأخذ بدايةً والكلمة يتجسد والجابِلُ يُجبل والغير الموسوع يُوسَعُ متجسِّدًا في أحشاء والدة الإله لأجل خلاصنا. فلهذا لا تكف متشفعًا من أجلنا نحن مكرميك.» آمين

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

كثيرةٌ وعظيمةٌ هي الخيرات التي يمكنك أن تجنيها يا أخي المسيحي، إن كنتَ تدأب على حفظ وصايا **الرَّبِّ** بغيرةٍ ومحبَّةٍ. ومن بين الخيرات الكثيرة، يمكننا أن نُعدِّد لك التالي:

أتريد أن تَجِدَ **المسيح** المعشوق، وأن تكون مع **يسوع** الحبيب والحلو؟ ما عليك إلَّا أن تُجاهد كي تحفظ وصاياه، وتذوقها. فأنت عندما تحفظ الوصايا، ستجد **المسيح** الذي أوصى بها. (إقرأ الإنجيل).

«**المسيح** مُحْتَجَبٌ في وصاياه» (كما يقول **القديس مكاريوس الكبير** في «الناموس الروحي»).

أتريد أن تجني نعمة **الرُّوح القُدُس** العقليَّة والسَّماويَّة التي اخذتها سرِّيًّا في قَلْبِكَ عندما اعتمدت؟ ما عليك إلَّا أن تَجتهد في حفظ الوصايا بغيرة، فتنال النعمة وتذوقها، بكل تأكيد.

إنَّ نعمة **الرُّوح القُدُس** التي مُنحَت لكل مسيحي على نَحْوٍ سِرِّيٍّ عندما اعتمد، تفعل وتظهر بحسب درجة عمل الإنسان بوصايا **الرَّبِّ**. فإذا عمل مثل هذا الإنسان على حفظ الوصايا قليلًا، فإن النعمة ستفعل فيه قليلًا أيضًا.

وكما أنَّ شرارة النَّار تُدفن داخل الرماد، لكنَّنا نجدها عندما نرفعه عنها، وَهٰكذا، فكلما جعلنا على النَّار حطبًا، ازدادت النَّار اشتعالًا. وبالمثل، فالنعمة التي أعطيت لكل مسيحي في جرن المعمودية المقدسة، هي دفينة ومحتجبة في القلب، وضائعة بين **رُكام الأهواء وحُطام الخطايا**، لكن عندما يحفظ المسيحي وصايا **المسيح**، فإنَّهُ يتنقى من الأهواء، وتضطرم في قلبه نار النعمة الإلهيَّة التي تُنيره، فيستنير ويتألَّه، وينادي بغيرةٍ عظيمة مُرَدِّدًا الكلمات التي قالها **لوقا وكلاوبا**: «أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهِبًا فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا ؟» (لو٢٤: ٣٢).

لأنَّنا أيُّها الأخوة **سقطنا في الخطايا** بعد المعمودية، وبالتالي دَفنا نعمة **الرُّوح القُدُس** التي أُعطيت لنا في معموديتنا. من الضروري **أن نبذل كلّ جهد** لكي نستعيد تلك النعمة الأصليَّة التي توجد في الأعماق مدفونة تحت أهوائنا، مثل جمرة في **وسط الرَّماد**. يجب علينا أن نذري جمرة النعمة هذه لتكون شعلة جديدة في قلوبنا. ولكي نفعل ذلك، يجب علينا أن نزيل **الأهواء** من قلوبنا كما يُزال **الرَّماد** من الموقد، ونستبدله بحطب الطاعة لوصايا **الرَّبِّ** الواهبة الحياة.

نستطيع أن ننفخ **في الشَّرارة بتوبة قلبيَّة صادقة** وبترديد هذه الصلاة: «**ربي يسوع المسيح ابن الله الحَيّ، أرحمني أنا الخاطئ**». وعندما تمكث هذه الصلاة بشكل دائم في قلوبنا، تُطهرنا من **رماد الأهواء**، وإذ تجد جمرة النعمة بالداخل تُشعل نارًا مدهشة وعجيبة.

« أَيُّها الرَّبُّ وسيّدُ حياتي، أَعْتِقني مِنْ روحِ البَطالةِ والفضولِ وحُبِّ الرِّئاسةِ والكلامِ البَطَّالِ. وأَنْعِمْ عليَّ أَنا عَبدُكَ الخاطِئ بروحِ العِفَّةِ واتّضاعِ الفكرِ والصّبرِ والمحبَّةِ. نَعَمْ يا مَلِكي وإلهي هَبْ لي أَنْ أَعْرِفَ ذنوبي وعيوبي وَألَّا أدينَ إخْوتي، فإنَّكَ مباركٌ إلى دهرِ الدّاهرينَ. آمينْ.» (صلاة للقدّيس إفرام السوري).

١ – تعريف:

– كلمة تريودي: هي كلمة يونانيَّة تعني ثلاث أوديات أَيْ قصائد، فكلمة أُوْدية ωδή تشير إلى قصائد من المدح أو التسبيح، وهي من فعل αείδώ «آييدُو» « أُغنّي أو أُنْشِدُ».

وقد سُمّيَت هذه الفترة «تريودي» لأنّنا نستعيض فيها عن القوانين (التسابيح) التي فيها ٩ أوديات (قصائد) بكتاب التريودي الطقسيّ الذي يقتصر على ٣ أوديات. (أنظر في الأسفل شرح الكلمات: قوانين– أودية). ملحوظة: «يأخذ التريودي اسمه من الكتاب الذي نستعمله في هذا الزمن الكنسيّ.»

– بدايته:

يبدأ التريودي مع **أحد الفرّيسي والعشّار** ويستمّر **ليوم السبت العظيم**.

هو زمن خشوعي بامتياز، يرجع فيه الإنسان إلى نفسه وإلى الله ليقوم مع المسيح خليقةً جديدةً إن تاب توبة صادقة. إنَّه زمن تطهير الذّات وصرخة «يا الله ارحمني أنا الخاطىء». هذا ما نقرأه حقيقةً في السنكسار من مطلع التريودي: «يا مُبدع كلّ شيء سماويًّا كان أم أرضيًّا اقبل أَمَّا من الملائكة فتسبيحًا ثالوثيًّا، وأمَّا من البشر فتريودِيًّا شريفًا خشوعِيًّا».

السَّماء والأرض تؤلّفان جوقًا واحدًا، الملائكة والبشر تتآلفان في تسبيح «مُبدع كلّ شيء»، الملائكة تنشد تسبيحًا مثلّث التقديس (تريصاجيون) قدّوس قدّوس قدّوس... والبشر تجيب بأودية تسبيح ثالوثية (تريوديون) شريفة خشوعيَّة.

يقول كاتب سنكسار التريودي **نيكيفوروس كالستوس كسانتوبولس:** إنّ أوّل ناظمي الأوديات الثلاث هو **قزما المنشئ أسقف مايوما** الذي رتبها، كي تكون رسمًا للثالوث الأقدس عنصر الحياة، وهذه الأوديات تُرتَّل في **الأسبوع العظيم**. ثُم تلاه مؤلفون عديدون منهم **ثاودوروس ويوسيف** من دير ستوديون في القسطنطينيَّة، وقد ألَّفا قوانين لأسابيع **الصوم الأربعيني المُقدَّس**.

– ثلاث تراتيل:

تتميّز فترة التريودي بثلاث تراتيل تلي المزمور الخمسين بعد **إنجيل السَّحَر** وتُرنَّم في كلّ الآحاد من أحد الفريسي والعشَّار إلى أحد مريم المصريّة. هذه التراتيل تؤلّف وحدة ليتورجيّة مترابطة مستوحاة من المزمور الخمسين وهي:

المجدُ للآبِ والابنِ والرُّوحِ القُدُس.

افتحْ لي أبوابَ التوبة، يا واهبَ الحياة، لأَنَّ روحي تُبكِّرُ إلى هيكلِ قُدْسِكَ آتيًا بِهَيْكَلٍ جسدي، مُدَنَّسًا بِجُمْلَتِهِ؛ لكن، بما أنّك مُتعطِّفٌ نَقِّني بتحنُّنِ مراحِمِكَ.

الآنَ وكلَّ أوانٍ وإلى دهر الداهرين. آمين.

سَهِّلي لي مَناهجَ الخلاص، يا والدةَ الإله، لأنّي قد دنَّستُ نفسي بخَطايا سَمِجة، وأفنيتُ عمري كلَّهُ بالتواني؛ لكن بشفاعتِكِ نقِّيني مِن كلِّ نجاسة.

إرحمني يا الله كعظيمِ رحمتِكَ وكمثل كثرةِ رآفتِكَ أمحُ مآثمي.

إذا تصوَّرتُ كثرَةَ أعمالي الرَّدِيَّة، أنا الشقيَّ، فانّي أَرتعدُ مِن يومِ الدينونةِ الرَّهيب. لكنّي إذ أنا واثقٌ بِتَحَنُّنِ اشفاقك أهتِفُ مثلَ داود ارحمني يا الله كعظيمِ رَحْمَتِكَ.

– المراحل الثلاث الآساسيّة:

يُقسَم هذا الزمن إلى ثلاث مراحل أساسيَّة:

أ) فترة التهيئة. ب) الصوم الأربعيني. ت) الأسبوع العظيم.

ملحوظة: سبت لعازر وأحد الشعانين يُحسَبان فترة تهيئة لدخول الأسبوع العظيم المقدّس، بحيث نُشاهد الرَّبّ يسوع يقيم لعازرَ من القبر كحدث استباقي لقيامَتِهِ المقدَّسة.

أ– المرحلة الأولى هي فترة التهيئة:

المرحلة الأولى هي فترة التهيئة للصوم، وتمتد لشهر وتتضمّن أربعة آحاد هي: **الفرّيسي والعشّار – الابن الشاطر – الدينونة (مرفع اللحم) – الغفران (مرفع الجبن)**.

يتخلَّل هذه المرحلة **سبت الأموات (الرَّاقدين)** الذي يأتي قبل **أحد الدينونة (مرفع اللحم)** مباشرةً.

١) – أحد الفرّيسيّ والعشّار: (لوقا ١٨: ٩–١٤)

في هذا الأحد يُتلى المثَل الّذي ساقه **الرَّبُّ** عن فضيلتَي التَّوبة والتواضع، مُبيّنًا كم هما محبوبتان لدى الله، أكثر من الذبائح والعبادة الظاهريَّة المُرفقة بروح الكبرياء والتعالي على الآخرين.

تاليًا، تُنبّهنا الكنيسة أنّ حجر الأساس لفترة الصوم هو **التواضع المقرون بالتوبة**.

المغزى من وضع **إنجيل الفرّيسي والعشّار** في الأحد الأوّل الذي يفتتح زمن الترودي هو **التواضع**.

عندما سُئِلَ **القدّيس مكاريوس الكبير**: «ما هي أعظم الفضائل؟» أجاب: «كما أنَّ الكبرياء أسقطت ملاكًا من عُلُوّه، وأسقطت الإنسان الأوّل، كذلك الاتّضاع يرفع صاحبه من الأعماق».

ويقول **القدّيس إسْحق السُّوري عن التواضع**: الذي يتنهَّد كلّ يوم على نفسه بسبب خطاياه، خيرٌ من أنْ يقيم الموتى. والذي استحق أن يبصر خطاياه، خيرٌ له من أنْ يبصر ملائكة.

من يخال نفسه أنَّه بلا خطيئة يضلّ ويكون متكبرًا. «إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا.» (١يو١: ٨). نحن في حاجة دائمة إلى أن نصرخ مع **العشّار**: «اللّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئُ» (لوقا ١٨: ١٣). مهما نَقْتَنِ من الفضائل فلنذكر دائمًا أنّنا ضُعفاء معرَّضون لأن نُخطئ، ولنَطْلُب الرَّحمة والغفران من اللهِ.

قنداق أحد الفريسي والعشار باللحن الرابع: لنهربنّ من كلام الفريسيّ المتشامخ. ولنتعلمنَّ تواضع العشَّار. هاتفين بزفراتٍ حارّة الى المخلِّص. اغفر لنا ايها الحنَّان وحدك.

٢) – أحد الابن الشاطر: (لوقا ١٥: ١١–٣٢)

في هذا الأحد يُتلى المثل الّذي ساقه **الرَّبُّ** عن **الابن الضال** الذي بَدَّد ثروة أبيه ثمّ تاب وعاد إليه. يُدعى «**الشاطر**» لأنّه «**شَطَرَ**» ميراث أبيه وأخذ قسمه على حياة والده. ملحوظة: (باليونانيّة «**الإبن الشاطر**» «**Ἀσωτοῦς ἄσωστος**» (من يُهدر ممتلكات «الأب» في الفجور الذي يؤدي إلى الخراب «المادي أو المعنوي»). (جمعية نور المسيح).

مغزى هذا المثل محبّة الله اللامتناهية، الذي ينتظر عودتنا إليه. نحن جميعنا أبناء الله بالتبنّي، فالتوبة الصادقة الحقيقيَّة هي قيامةٌ وحياة.

ومن أجمل ما في هذا المثل عبارة «فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ». الرُّجوع هو نقطة تحوّل وتصويب. فحينما يهدأ الإنسان من الداخل يبدأ يفكّر في حالتِهِ، ويكتشف أنَّه لا سلام ولا خلاص ولا طمأنينة، إلَّا في العودة إلى البيت الأبوّي الحاضن، وخاصة بعد أن يُدرك مرارة التغرُّب عن الله وحلاوة العودة إليه.

قنداق الابن الشّاطر باللحن الثالث:

لمَّا عصيتُ مجدك الابوي عن جهلٍ وغباوة. بدَّدتُ في المساوىء الغِنَى الذي اعطيتنيه ايها الآب الرؤُوف. فلذلك اصرخ اليك كالابن الشاطر هاتفًا. اخطأت امامك فاقبلني تائبًا. واجعلني كأحد أُجَرائِكَ.

٣) – أحد الدينونة (مرفع اللحم): (متى ٢٥: ٣١–٤٦)

في هذا الأحد يُتلى **إنجيل الدينونة**، كما يصف السيّد **المسيح** نفسه مجيئه الثاني في إنجيل متّى. يُشبِّه البَشَر الّذين خلقهم بالماشِيَة، لأنَّ صورة الرَّاعي صورة شائعة عن الله في العهد القديم، كما أنّها صورة شائعة عن الكهنة (أنظر نبوءات إشعيا وإرميا وحزقيال ٣٤: ١١).

وفي العهد الجديد يُشبِّه **المسيح** نفسه بالرَّاعي الصَّالح، عِلْمًا بأنَّهُ أيضًا الحمل الّذي يرفع خطيئة العالم. ولأنّه تألَّم من أجلنا، وحدها محبّته تستطيع أنْ تدين جحود العالم.

المغزى من هذا الإنجيل في **أحد مرفع اللحم** أنْ يدرك المرء أهميَّة المحبّة الصادقة تجاه الآخرين، لأنّ الآخر هو **الرَّبُّ يسوع المسيح** نفسه، وها نحن نقف أمامه. الإنسان يدين نفسَهُ بِنَفْسِهِ، **فكلّ أعماله تُكشف كما هي** أمام حُكم الله العادل.

يقول **القدّيس إيرونيموس** (القرن الرابع): كُلُّ مرّة تبسط يدك بالعطاء أذكر المسيح... الهيكل الحقيقي للمسيح هو نفس المؤمن فلنزيّنه ونقدّم له ثيابًا، لنقدّم له هبات، ولنرحّب بالمسيح الذي فيه! ما نفع الحوائط المرصَّعة بالجواهر إن كان المسيح في الفقير في خطر الهلاك بسبب الجوع. (كنتُ جوعانًا فأطعمتموني – متى٢٥: ٣٥).

كذلك يشرح **القدّيس كبريانوس القرطاجي** (القرن الثالث) عن أهميّة الالتصاق **بالمسيح** في مسيرة حياتنا كلّها: المسيح نفسه أيها الإخوة الأحباء هو ملكوت الله الذي نشتاق إليه من يوم إلى يوم لكي يأتي. مجيئه هو شهوةٌ لنا ونودّ أن يُستعلَن لنا سريعًا. ما دام هو قيامتنا وإليه نقوم، فلنفهم أنّه هو نفسه ملكوت الله إذ فيه نَمْلُك.

نتوقّف في هذا الأحد عن أكل اللحوم (أكل بلا دم)، لندخل رويدًا رويدًا في حالة ملكوت الله السلاميَّة كالإنسان الأول قبل السقوط.

قنداق مرفع اللحم باللحن الأول: إذا اتيتَ يا الله على الأرض بمجدٍ فترتعد منك البرايا باسرها. ونهر النَّار يجري أمام عرشك والصُّحُف تُفتح. والخفايا تُشهَر. فنجّني حينئذٍ من النار التي لا تُطفأ. وأَهّلني للوقوف عن يمينك ايُّهَا الديّان العادل.

٤) – الغفران (مرفع الجبن): (متى ٦: ١٤–٢١)

هو أيضًا ذكرى **طرد آدم من الفردوس**. في هذا الأحد قبل بدء الصَّوم

الكبير، تتلو الكنيسة إنجيلًا من العظة على الجبل، وتشدِّد على أهمّيّة الرَّحمة والمصالحة مع الناس قبل تقريب ذبيحة الصَّوم.

المغزى من هذا الإنجيل في الأحد قبل بدء الصَّوم هو إدراك أهميَّة الغفران. فنحن نطلب من الله أنْ يغفر لنا خطايانا بعد أنْ نُسامح الآخرين، وهذا شرط أساسي لا مفرّ منه. لا يمكننا أنْ نصوم **ونحقد!** **فالله** لا يقبل **صلاة الحَقُود!**

إنّ الصَّوم هو رحلة المصالحة مع الله. ولكنّ **الرَّبَّ** يساوينا بنفسه، لا بل يساوي قريبنا بنفسه، ويقول: إن لم تصالح قريبك لا تستطيع أن تصالحني، والعكس صحيح. لم يعلّق **الرَّبُّ يسوع** على أيّ طلب في الصلاة الربانيَّة سوى طلب الغفران: «فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاَتِكُمْ.» (متى ٦: ١٤-١٥) .

ابتداءً من هذا الأحد يبدأ الصَّوم الكامل بالانقطاع عن الزفرين.

قنداق مرفع الجبن باللحن السادس: ايها الهادي الى الحكمة. والرَّازق الفهم والفطنة. والمؤدّب الجُهَّال. والعاضد المساكين شدّد قلبي وامنحه فهمًا ايها السَّيِّد. واعطني كلمةً يا كلمة الآب. فها اني لا امنع شفتيَّ من الهُتاف اليك. يا رحيم ارحمني انا الواقع.

ب – المرحلة الثانية الصَّوم الأربعيني:

تتضمّن هذه المرحلة خمسة آحاد: **أحد الأرثوذكسيّة – أحد القدّيس غريغوريوس بالاماس – أحد السُّجود للصليب المقدّس – أحد القدّيس يوحنّا السلّمي – أحد القدّيسة مريم المصرية.**

تقام في هذه المرحلة:

– صلاة النوم الكبرى (من الاثنين إلى الخميس)

– صلاة المديح لوالدة الإله الّذي لا يُجلس فيه (يُتلى جزئيًّا مساء كل يوم جمعة من الأسابيع الأربعة الأولى ويُتلى كاملًا في الأسبوع الخامس ويُسمّى: المديح الكبير).

– مساء يوم الجمعة في الأسبوع السادس صلاة النوم الصغرى مع **قانون لعازر.**

– خدمة قانون التوبة **للقدّيس أندراوس الكريتي** (يُتلى جزئيًّا في الأسبوع الأول من الاثنين إلى الخميس خلال صلاة النوم الكبرى وكاملًا في يوم الخميس من الأسبوع الخامس ويُسمّى: **خميس التوبة**).

١) – أحد الأرثوذكسيَّة:

هو **الأحد الأول من الصَّوم** نعيّد فيه تذكار **تعليق الأيقونات المقدّسة ورفعها** بعد حقبة طويلة من السنين عُرفت **بحرب الأيقونات** وذلك في القرنين الثامن والتاسع ميلادي وانتهت بالمجمعَين السابع (٧٨٧م) والثامن (٨٧٩م).

استمرت **حرب الأيقونات** ١٢٠عامًا، حيث دُمّرت وحُرقت الكثير من الأيقونات وسُفكت فيها دماء كثيرين من الرهبان والمؤمنين الذين دافعوا بشراسة عن لاهوت الأيقونة وارتباطها بسرّ التجسُّد. أسباب شتّى ومختلفة أدّت إلى هذا الاضطهاد الدمويّ، منها من داخل الكنيسة نفسها، ومنها من أعداء الكنيسة في الخارج الذين تمسّكوا بمعتقدات مختلفة ومضادة للإيمان المسيحيّ، كلّها تصبُّ في جوهر واحد: **إنكار** تجسّد **المسيح** وتاليًا ضرب مشروع الخلاص كلّه بعرض الحائط وتشويه العقيدة المستقيمة. وهذا طبعًا **شيطاني.**

٢) – أحد القدّيس غريغوريوس بالاماس:

حدَّدَ آباؤنا القدّيسون **في الأحد الثاني من الصَّوم** من كلّ عام، أن نقيم تذكارًا لأحدِ كبار آباء الكنيسة، **القدّيس غريغوريوس بالاماس** وذلك لأهميّة سيرة الآباء القدّيسين وتعاليمهم.

القدّيس غريغوريوس بالاماس، كان راهبًا وناسكًا في الجبل المقدّس آثوس في بلاد اليونان، ثمَّ أصبح رئيسًا لأساقفة مدينة تسالونيكي. هذا الأب عُرِفَ بِعِشقِهِ للهِ، وترك كتابات كثيرة. من أهمِّ الموضوعات التي تحدّثَ عنها القدّيس غريغوريوس بالاماس موضوع النعمة، نعمة الله، مجدِهِ ونُورِه. أراد أن يُخبرَنا أنَّ الذين يتبعون **الرَّبَّ** ويُحِبُّونَه ويسعون ليكونوا معه، يكافؤون بنور مجده الإلهيّ. كما يُذكِّرُنا بما حدث مع التلاميذ يوم التجلّي، عندما ظهر **الرَّبُّ** أمامَهُم وكشفَ لهم مجدَهُ، وتحوّلَتْ ثيابُه إلى بيضاء ناصعة، أبيض من الثلج، **ونورُه أقوى من الشمس.** هذا هو مجد الله ونوره الذي غمرنا به، نحن أحبّاءَه والذين نُرضِيه في حياتِنا على هذه الأرض.

٣) – أحد السُّجود للصليب المقدّس:

كان الصليب في السابق اسمًا للقصاص والعقاب، أما الآن فهو اسم للفخر والاحترام، كان الصليب في السابق موضع عار وعذاب، أما الآن فأصبح سبب مجد وشرف. عليه تمجّد الإله طوعًا وقدّم نفسه فديةً وذبيحةً لأجل كلّ واحدٍ منّا.

يُنصَب الصليب **في وسط الصَّوم** لتشديد المؤمنين كما يوضع الهدف والإكليل أمام المجاهد في وسط السِّباق لزيادتِهِ حماسَةً. فالصليب هو مجد يؤكّده قول **المسيح:** «وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ.» (يوحنا ١٧: ٥).

فالصليب هو قمة خلاصنا، الصليب هو مصدر الخيرات الوافرة. فبه أضحى المنبوذون السَّاقطون، مقبولين في عداد الأبناء.

٤) – أحد القدّيس يوحنّا السُّلَّمي:

في الأحدين الأوّلين من الصَّوم، تُشدِّد الكنيسة على **استقامة الرأي وسلامة العقيدة،** وفي الأحدين الأخيرَين، تضَع إزاءنا جمال الفضائل من خلال قدّيسَين عظيمَين: **القدّيس يوحنّا السلَّمي** معلّم الرهبان، **والقدّيسة مريم المصريّة** المثال الأعلى للنُسَّاك ولكلِّ تائب.

في **أحد القديس يوحنا السلَّمي،** تستدعي الكنيسة انتباهنا إلى أهميّة الحياة الرُّوحيّة والجهاد الرُّوحي. يحمل هذا الأحد اسمَ أب قدّيس من القرن السابع الميلاديّ، عاش في سيناء وكان مثالًا للحياة الرهبانيّة ومعلّمًا للفضيلة، وقد وضع كتاب «**السلّم إلى الله**» على طلب شديد من أحد رؤساء الأديار.

هو كتاب مهم جدًّا. كتب **القدّيس يوحنّا «السلّم إلى الله»** بعد جهادٍ نسكيّ مشهود له دام حوالي الأربعين سنة، فصنَّفَ فيه الفضائل إلى سلّم من ٣٠ درجة وأرشدنا إلى سبيل ارتقائها. ولم يزل كتابه من أهمّ المؤلّفات الرُّوحِيَّة والرهبانيَّة التي نهل منها الآباء القدّيسون والمؤمنون عبر قرون.

٥) – أحد القدّيسة مريم المصريَّة:

قبل دخولنا **الأسبوع العظيم** تضع الكنيسة أمام قلوبنا صورة هذه التَّائبة التي كتب سيرتها **القدّيس صفرونيوس الأورشليميّ**، عسانا نعود الى يسوع قبل الفصح لنلتقط الضياء المُشِعّ من وجهِهِ على الصليب. فالكنيسة تقول لنا إذا عرفنا سيرة **هذه القديسة** فنحن قادرون ان نغسل خطايانا بالدموع، وإلّا تبقى أعمالنا وأصوامنا ظاهريَّة. عاشت مريم في الاسكندريَّة في القرن الرابع وأخذت تتعاطى الفسق منذ أوّل بلوغها. ولكن أثناء محاولة عبورها عتبة كنيسة القيامة في أورشليم لتدخل مع الوفود الوافدة، منعتها قوَّةٌ كبيرة منعتها **قوَّة الله**؛ فوقفت منذهلةً وأجهشت بالبكاء. لم تكن تعلم في ذلك الوقت أنَّ هذه الدموع كانت معمودية جديدة وقيامة جديدة وحياة جديدة. فخلعت عنها ثياب الخطيئة قاصدةً الصحراء لتتنسَّك ما يناهز سبعًا وأربعين سنة. وبعد هذه الفترة النُسّكيَّة الطويلة أضحت كائنًا ملائكيًّا. في نهاية حياتها، تناولت القُدسات على يد **زوسّيماس الكاهن** ورقدت بسلام، لتصبح كتابًا حيًّا تتعلّم منه الأجيال الإيمان والصبر والجهاد والتوبة.

* سبت لعازر:

– هذا السبت هو استباق **للقيامة المجيدة**. ميزته أنّنا نتلو فيه الصلوات المخصّصة للقيامة يوم الأحد، بحيث يقول الكاهن في الدورة الصغرى الأنتيفونا: «خلّصنا يا ابن الله يا من قام من بين الأموات» وليس «يا من هو عجيب في قدّيسيه».

– فيه يعلن **يسوع** الانتصار **على الموت**، إذ **لعازر** كان قد أنتن في القبر وقد مضى على موته أربعة أيّام.

* أحد الشعانين (أحد دخول الرَّبّ يسوع إلى أورشليم):

بعد الاحتفال بحدث **إقامة يسوع لعازر من الموت والمعروف بسبت لعازر** تحتفل الكنيسة **بدخول الرَّبّ يسوع إلى أورشليم** هاتفة: أوصَنَّا في الأعالي خلّصنا أيّها الملك الآتي. تتميّز الخدمة الطقسيَّة بأنَّها ليست كسائر الآحاد، بل هي خدمة عيد سيّديّ. والحقُّ إنّ **يسوع** يدخل أورشليم كملكٍ ليعتلي الصليب عرشًا.

ما أعظم هذا اليوم! فملك المجد، **الله** المتجسّد، **الله الذي أصبح إنسانًا** يأتي بمشيئته إلى أورشليم ليُصلَب. (المسيح إله كامل وإنسان كامل ما خلا الخطيئة) دخل **الرّبُّ** أورشليم فوجد الإنسان مسمّرًا بخطاياه، فأنزله بيديه وحمل خطايا البشر جميعهم وَفَرَدَ يديه على الصليب طوعًا ليقيمنا معه إلى حياة أبديَّة.

ت – المرحلة الثالثة الأسبوع العظيم المُقدّس:

تبدأ هذه المرحلة من **عشيّة أحد الشعانين** حيث تُقام **صلاة الختن الأولى إلى سبت العظيم المقدّس**.

شرح ليتورجي:

– القوانين:

في خدمة صلاة السَّحر التي تقام يوميًّا، نتلو ما يُسمَى بِ «القوانين». وهي مجموعات من الصلوات المرتَّلة. وكلّ قانون يتألّف من تسع أوديات (تسبيحات)، على أساس التسابيح التسع الّتي في العهد القديم. يبدأ استخدام كتاب التريودي كل مساء سَبْتَ وصباحَ كُلِّ أحد ابتداء من أحد الفريسي والعشَّار في صلاة الغروب. أمَّا في أحد مرفع اللحم، فنبدأ باستخدامه يوميًّا حتى سَبْتِ النُّور. وتكون الصلوات في أسبوع مرفع الجبن مزيجًا من التريودي والمُعنّي، ما عدا يومي الأربعاء والجمعة حيث تكون الصلوات مثل الصَّوم تمامًا. أمَّا الأوديَّات الثلاث، فيبدأ استعمالها مع بدء الصَّوم الكبير إذ تُتلى كلّ يوم الأوديَّة الثامنة والأوديَّة التاسعة، مع أوديَّة أخرى بحسب الأيّام. فالاثنين مثلًا، تتلى الأوديَّات الأولى، والثامنة والتاسعة، والثلاثاء، الأوديَّات الثانية، والثامنة والتاسعة.

– الأوديّة:

الأوديَّة في الليتورجيا الأرثوذكسيَّة هي قطعة مرتَّلة من القانون الذي يُتْلَى في صلاة السَّحر، عدد الأوديات في كلّ قانون تسع. إلّا أنَّ الأوديَّة الثانية حُذفت في كلّ أيام السنة عدا في أيام الصَّوم الأربعيني.

الأوديّات التسع مرتكزة معنًى ومبنًى على التسابيح المأخوذة من الكتاب المقدّس والموجودة في كتاب السواعي الكبير وهي بالتتالي:

– التسبحة الأولى لموسى (خروج ١٥:١–١٩)،
– التسبحة الثانية أيضًا لموسى (تثنية الاشتراع ٣٢:١–٤٢)،
– التسبحة الثالثة لأم صموئيل (صموئيل ٢:١–١٠)،
– التسبحة الرابعة لحبقوق النبي (٣:٢–١٩)،
– التسحبة الخامسة لأشعياء النبيّ (أشعيا ٢٦:٩–٢٠)،
– التسبحة السادسة ليونان النبيّ (٢:١–٩)،
– التسبحة السابعة للفتيان الثلاثة (دانيال ٣:٢٦–٥٦)،
– التسبحة الثامنة للفتيان الثلاثة (دانيال٣:٥٦–٨٨)،
– التسبحة التاسعة **لوالدة الإله** ولزخريا والد يوحنا المعمدان (لوقا ١:٤٦–٥٥ و١:٦٨–٧٩)

– خلاصة:

كاتب الأوديَّة يستوحي من الكتاب المقدّس ولكنَّه يعيد صياغة الأفكار الكتابية ويعلّمنا سرّ التوبة، فيتذكَّر ويعترف بخطاياه الكثيرة ويتحسَّس يوم الدينونة ويرهبها، ولكنَّه يؤمن إيمانًا عميقًا **بالله**، ويترك ذاته لِعَظَمِ مراحمِهِ.

هذا الإيمان وهذا الرَّجاء إذا ما تحرّكا بالتوبة يخلّصان الإنسان كما خَلُصَ **داود** حين صرخ: «ارحمني يا الله كعظيم رحمتك». هذه هي **القيامة الحقيقيَّة**.

عودة الابن الضَّال

فرجعَ إلى نَفسِهِ

الابن الضَّال:

يبتدئ **الرَّبُّ يسوع** هذا المَثَل بقوله: «إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ ابْنَانِ. فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لأَبِيهِ: يَا أَبِي أَعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَالِ. فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ» (لوقا ١٥: ١١-١٢).

لقد غاب عن وعي هذا الابن الأصغر أنَّهُ ٱبنٌ محبوبٌ لأبيهِ، وبالتالي فـ «كُلُّ ما للأب هو لَهُ». وهذه هي خطيَّة هذا الابن، أنَّهُ لم يُقدِّر أُبُوَّة أبيه ولا بُنوَّته لأبيه؛ وكذلك لم يُقدِّر ما كان فيه من سِعَةٍ وسلام وسعادة وهو في بيت أبيه وفي معيَّته المُباركة. لقد أَظهَرَ هذا الابن الذي أراد من أبيه أن يَقسِم الميراث ويُعطيه نصيبه؛ أَظهَرَ أنَّهُ هو نفسه في أعماقه كان مُنقسمًا على ذاته، ما بين بقائه في بيت أبيه يَنْعَم بالطمأنينة والرَّاحة، وبين ما يُريده هو من **انطلاقٍ كاذب ومن حرية مزعومة** بعيدًا عن أبيه!

لقد ترك هذا الأبُ الحنون حرِّية الاختيار للابن، ولم يُرغمه على البقاء في معيَّته دون رغبته، ولم يَعِظْه بكلامٍ، لأنه يَعْلَم يقينًا أنَّ الكلام سوف لا يأتي بنتيجة طالما أصرَّ الابن على الانفصال عنه وتَرْك بيته.

ولذلك فقد سمح الأب – وهو في عمق تألُّمه على فراق ابنه – أن يجوز هذا الابن محنة الانفصال عنه، طالما كان هذا اختياره وبملء إرادته، حتى من خلال مُعاناة ذلك الابن التي سيُواجهها فيما بعد، يتعلَّم الدرس جيِّدًا، أنَّهُ ليس له إلَّا حضن أبيه وأنَّ راحَتَهُ هي في بيت أبيه!

فالابن الضَّال، يُمثِّل الإنسان – بصفةٍ عامة – ذلك الذي ظنَّ أن حرِّيته هي **في البُعد** عن الله أبيه السَّماوي، وسعادته هي في التغرُّب عن حضن الله الأبوي؛ **فَحَاد** عن خطة الله التي وضعها من نحو حياة الإنسان وسعادته، واختار الإنسان أن يأكل من شجرة معرفة الخير والشَّر، **ناقضًا** وصية الله، مُبتعدًا بإرادته عن طريق شجرة الحياة أي الشركة الدائمة مع الله.

لقد ضلَّ الإنسان بعيدًا عن تدبير الله، مكتفيًا بذاتِهِ، منفصلًا عن الشَّركة مع إلهه الحنون؛ وظنَّ أنَّ ذاته وتحقيق رغباته هي التي ستُدخِل السعادة إلى نفسه، فتمركز حول ذاته ظنًّا منه أنَّ له حياة في ذاته، وابتعد عن الله – الذي هو في الحقيقة مصدر حياته – **فسقط** من النعمة **وسقط** من الحياة الأبديَّة.

الكورة البعيدة:

مكتوبٌ: «وَبَعْدَ أَيَّامٍ لَيْسَتْ بِكَثِيرَةٍ جَمَعَ الابْنُ الأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ، وَسَافَرَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ، وَهُنَاكَ بَذَّرَ مَالَهُ بِعَيْشٍ مُسْرِفٍ» (لو ١٥: ١٣). لقد اعتقد هذا الابن، أنَّ ابتعاده عن أبيه، سيُحرِّره مما اعتقده أنهَّا قيود ووصايا الأب، وأنه سيعيش كما يحلو له دون رقيب على حياته، وهو يظنُّ أنَّهُ بهذا التصرُّف وبهذه العيشة سيحصد السعادة وراحة البال.

وفي الحقيقة، إنَّ ما أَخذه هذا الابن من أبيه برغبته وباختياره – رغمًا عن إرادة ومسرَّة أبيه – لم يَجْنِ من ورائه، وهو بعيد عن أبيه، ربحًا أو ثمرة تقوده إلى السعادة المزعومة كما توهَّم، بل قادته إلى **التعاسة والشقاء**. فالعالم كله، **عالم الإثم والخطيَّة** والبُعد عن معيَّة الله والشَّركة معه، قد وُضِعَ **في الشِّرير**.

إنَّ كُلّ ما حصل عليه هذا **الابن الضَّال**، برغبته المُنحرفة – رغمًا عن إرادة أبيه – قد أنفقه وبذَّره في عيشٍ مُسْرِف، إلى أن حدث جوعٌ شديد في تلك الكورة سرعان ما أفضى به إلى حالةٍ من البؤس والفاقة: «فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ، حَدَثَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ، فَابْتَدَأَ يَحْتَاجُ» (لو ١٥: ١٤).

ونُلاحظ أنَّ هذا الابن بعد أنْ أنفقَ كُلَّ معيشته في شهواتِهِ، حدث جوعٌ شديدٌ، لم يُصِبْه هو فقط، بل كان جوعًا شديدًا على جميع مَن في تلك الكورة. ومن ضراوة هذا الجوع، لم يُقْدِم أحدٌ من أهل تلك الكورة على مدِّ يد المعونة لذلك الابن، إذ صار كل مَن في تلك الكورة مُعتازين ومُحتاجين إلى المعونة، لأنَّهم كانوا يعيشون نفس حياته المستهترة ويسلكون نفس مسيرته الرَّديئة! أمَّا ما نحصل عليه من نِعَم وبركات من الله، بملء مسرَّته وإرادته الصالحة، فهو يفيض علينا بالسَّلام والطمأنينة ويقودنا إلى الخلاص والحياة الأبديَّة.

إنَّ ما حدث **للابن الضَّال**، هو ما حدث للإنسان – بوجهٍ عام – فقد ضلَّ الطريق عندما حوَّل وِجْهَة نَظَرِه، ودقَّة حياته واشتياقاته عن المعرفة الإلهيَّة والحياة مع الله التي من المُفتَرَض أنْ تقوده إلى التبنِّي لله وتُصيِّره – بالنعمة الإلهيَّة – شريكًا للطبيعة الإلهيَّة؛ إلى التمركُز حول ذاته وشهواته.

حياة الابن مع الخنازير:

لقد ذَكَرَ **الرَّبُّ يسوع** في هذا المثل: «فَمَضَى (**الابن الضَّال**) وَٱلْتَصَقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ ٱلْكُورَةِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى حُقُولِهِ لِيَرْعَى خَنَازِيرَ. وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلأَ بَطْنَهُ مِنَ ٱلْخُرْنُوبِ ٱلَّذِي كَانَتِ ٱلْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ، فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ» (لو١٥: ١٥-١٦).

إنَّ كُلَّ ما هو مُزيَّف ومُخادِع للنفس سينكشف يومًا ما، وسوف يتلاشى ويصير كَلا شيء، وسوف يُترَك ذلك **الابن الضَّال**، بل وكُلّ إنسان مثله، مُنعزلًا وغريبًا، وسيَنْفَضُّ من حوله كل مَن كان قريبًا منه ومُلتصقًا به لأجل منفعته فقط، ويُترَك الإنسان وحيدًا بلا سَنَدٍ من الناس وبلا عزاءٍ من شهوات هذا العالم الحاضر!

عندما ساءت الأحوال بذلك الابن وخسر كُلَّ شيء، بدأ يحتاج طالبًا المساعدة، فالتصق بواحدٍ من أهل تلك الكورة، فأرسله إلى حقوله ليرعى الخنازير. لقد انحدر هذا الابن، بسوء تصرُّفه وكنتيجة لأفعاله، **من نَسَبِهِ النبيل إلى مُخالطة الخنازير**.

فالخنازير هي شهوات الإنسان الحيوانيَّة التي من المستحيل إشباع رغباتها. أمَّا الخرنوب طعام الخنازير الذي اشتهى الابن أن يملأ بطنه به، فهو «قرون الخرُّوب». ونُلاحظ أنَّ الابن لم يَسْعَ إلى أَكْل الخرنوب ليَسُدَّ جوعه، بل «كان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب». إنها شهوة البطن التي لا يمكن إشباعها، بل قُلْ إنَّها المستحيل أو السَّراب الذي يسعى إليه الإنسان، ولن يُدركه قط، ولم تُتَح له الفرصة للحصول عليه. لقد ظنَّ **الابن الضَّال** أنَّ سعادته هي في البُعد عن أبيه؛ فكانت النتيجة المُريعة هي انحداره إلى هذا المستوى المُتدنِّي. وهكذا كُلُّ مَن ضلَّ الطريق إلى الآب السَّماوي، سيبتعد عن الحياة الحقيقيَّة، وعِوَضًا عن ارتمائه في حضن الله الحنون، **سينطرح بين أرجل الخنازير!**

«فرجع إلى نفسه»:

يذكُر المثل أنَّ **الابن الضَّال** «رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ ٱلْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعاً! أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْناً. ٱجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ» (لو ١٥: ١٧-١٩).

إنَّ المحنة التي تعرَّض لها هذا الابن، وكان هو السبب المُباشر فيها، كشفت نفسه أمام عينيه، في الوقت الذي شعر فيه بعدم قدرة أحدٍ على مساعدته. لقد كان بمثابة إنسانٍ غائب عن الوعي، فأصابته كل هذه المصائب من جَرَّاءِ سوء تصرُّفه؛ ولكن في لحظةٍ فارقة، «رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ»، واستردَّ وعيه المفقود، وعرف جيِّدًا مَنْ هو القادر وحده على مساعدته وعودته إلى رتبته الأولى.

إنَّ رجوع ذلك الابن إلى نفسه، **هي التوبة الصادقة** بعينها، هي الإحساس بعِظَم ما اقترفه من ذَنْبٍ في حقِّ أبيه؛ وفي نفس الوقت، هي ثقة في مراحم الأب الذي لا يشاء موت ابنه بل يتوق لرجوعه إليه وقبوله مرَّةً أخرى كابنٍ محبوب له!

✝ ليتنا نتصوَّر ما تَردَّد في مُخيِّلة الابن عندما سيتقابل مع أبيه: «لقد أخطأتُ يا أبي إليك، وبتصرُّفي الأرعن خسرتُ بُنوَّتي، بالرغم من أنك أبقيتَ على أُبوَّتك الحانية لي. لقد جرحتُ قلبك، وانتهكتُ العلاقة الحميمِيَّة بين الابن وأبيه بسلوكي السيِّئ، ولذلك فأنا لا أستحقُّ أن أُدعى لك ابنًا، ليتك تقبلني كأجيرٍ عندك. أنا أثق فيك، أنك لا تُعاملني بقَدْر ما عاملتُكَ أنا بجحودي وسوء تصرُّفي. إنَّهُ في إمكانك توبيخي ولومي، ولكن إحساسي بِحُبِّكَ العظيم وحنانك المتدفِّق وحضنك الدافئ، جعلني أُدرك عِظَم خطيَّتي التي ارتكبتُها في حقِّك».

✝ وكأنَّ الابن يستطرد في أعماقه قائلًا: «هل بجهلي وحماقتي، لم أختبر حبَّك الذي كنتَ تغمرني به وأنا في بيتك؟ هل ابتعادي عنك إلى حين، وشقائي وبؤسي، جعلني أُدرك مقدار عِظَم حبِّك وحنان أبوَّتك؟ هل كنتُ لا أشعر بمقدار الحياة الكريمة في معيَّتك وفي بيتك، إلَّا عندما ابتعدتُ عنك إلى الكورة البعيدة، منغمسًا في الخطيَّة والإثم، ومُنحدرًا حتى إلى حضيض العيش مع قطيع الخنازير؟ إنَّ كلَّ ما حدث لي هو بسبب حماقتي ورعونتي وخطيَّتي!»

رجوع الابن إلى أبيه:

بعدما رجع الابن إلى نفسه، «قَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيداً رَآهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. فَقَالَ لَهُ الاِبْنُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْناً» (لو ١٥: ٢٠-٢١).

إن توبة هذا الابن لم تكتمل إلَّا عندما حوَّل ما كان يجول في خَلَده وقلبه إلى فعلٍ، عندما قام وجاء إلى أبيه. لقد رجع إلى أبيه وهو في حالةٍ مُزرية، بملابس قذرة، ورائحة نتنة؛ لكن كُلُّ هذا لم يمنع الأب الحنون من البحث عن ابنه، منتظِرًا إيَّاه بفارغ الصبر، فعندما رآه من بعيد، «تحنَّن»، و«رَكَضَ»، و«وقع على عنقه»، و«قبَّله».

لقد أَدْهش حنان الأب وحبّه الفائق مشاعر الابن العائد والتَّائب، فاعترف بذنبه وما اقترفه في حقِّ أبيه مِمَّا جعله – في نظره – غير مستحقٍّ أن يكون ابنًا لهذا الأب الصالح. ولكن نُلاحظ أنَّ الابن لم يُكمِل القول الذي كان يُفكِّر فيه سَلَفًا: «وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْناً. ٱجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ». فما الذي حدث حتى جعل الابن لا يُكمِل القول؟ فمِنْ جهته كان مُصِرًّا على قول ما رتَّبه في فكره وقلبه قبل وصوله إلى أبيه؛ ولكن تحنُّن أبيه وحبه له واحتواؤه إيَّاه في حضنه الدافئ وتقبيله له في حنان الأُبوَّة، **قد ألجم لسانه عن الاستطراد في الكلام**. ثم من جهةٍ أخرى، فإنَّ الأب كما لو كان قد وضع كفَّه على فم الابن حتى لا ينطق بأنه أجيرٌ، **فهو ابنه** بالرَّغم من كُلِّ ما فعله!

نُلاحِظ أنَّ الأب، في لقائه بابنه العائد إلى حضنه، لم يُبكِّته على سوء تصرُّفه، ولم يتكلَّم معه بكلمةٍ واحدة تذكُر ما فعله، ولم يُعدِّد للابن مقدار معاناته وألمه لفراقه عنه. **لقد أطلق الأب ٱلْعِنَانَ لمحبته العميقة ومشاعره الجيَّاشة لتُعبِّر عمَّا في قلبه الحنون نحو ابنه**، الأمر

الذي يصمُت فيه اللسان عن الكلام، بينما تتدفَّق مشاعر الحُب لتسود على كُلِّ كلمة يمكن أنْ يُنطق بها.

ومن المُلاحَظ أنَّ الأب لم يتكلَّم، لا عندما طلب منه الابن نصيبه من الميراث، ولا عندما عاد الابن تائبًا إلى حضنه. فهذا التصرُّف من قِبَل الأب ليس هو من قبيل اللامبالاة، فهو يَعْلَم مقدار المخاطر التي سيتعرَّض لها الابن نتيجة سوء تصرُّفه وابتعاده عنه. ولكن حتى في ابتعاد الابن عنه، كان الأب يسْتَرِق السَّمْع – بين حينٍ وآخر – ليلتقط أخبار الابن ويتتبَّع خطواته وهو في الكورة البعيدة، ويَعْلَم مقدار ما وصل إليه من ضياع ومن جوع حتى بلغ هُوَّة اليأس!

عودة الابن إلى رُتبته الأولى:

«فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَماً فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ. لأَنَّ ابْنِي هذَا كَانَ مَيِّتاً فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاً فَوُجِدَ. فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ» (لو ١٥: ٢٢-٢٤).

بينما كان الابن العائد يُعدِّد خطاياه ويعترف بها، إذا بالأب يُظهِر مشاعر البهجةِ والفرحةِ بعودة **ابنه الضَّال** إلى حضنهِ. لقد **هزم حبُّ الأب البؤسَ والشقاءَ** اللذين سادا على ابنه، وأَمَرَ عبيده أن يُلبسوه الحُلَّة الأولى، أي ثوب البرِّ والخلاص؛ وكذلك يضعوا خاتمًا في إصبعه، علامة بنوَّته لأبيه؛ وحذاءً في رجليه الذي هو بُشْرَى الفرح والسَّلام؛ ثم أَمَر بذَبْح العجل المُسمَّن عِوَضًا عن حالة **الموت الرُّوحي** التي سادت على الابن بسبب انفصاله وبُعده عن أبيه، لأنه كان «ميتاً فعاش، وكان ضالاً فُوجِدَ».

أخيرًا، عندما تعالَى الابن في ذاته وارتفع بمستوى طلباته وغرور نفسه، هبط إلى الحضيض، حتى إلى حافة الجحيم والموت جوعًا؛ ولكنه عندما **رجع إلى نفسه**، وانحنى معترفًا بخطيَّته أمام أبيه، رَفَعَه الأب إلى مستوى الابن المحبوب، **وأعاده إلى رتبته الأولى**!

« وَتَطَلَّعَ فَرَأَى الأَغْنِيَاءَ يُلْقُونَ قَرَابِينَهُمْ فِي الْخِزَانَةِ، وَرَأَى أَيْضًا أَرْمَلَةً مِسْكِينَةً أَلْقَتْ هُنَاكَ فَلْسَيْنِ. فَقَالَ: «بِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذِهِ الأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمِيعِ، لأَنَّ هؤُلاَءِ مِنْ فَضْلَتِهِمْ أَلْقَوْا فِي قَرَابِينِ اللهِ، وَأَمَّا هذِهِ فَمِنْ إِعْوَازِهَا أَلْقَتْ كُلَّ الْمَعِيشَةِ الَّتِي لَهَا» (لوقا ٢١: ١-٤).

اليوم ينفتح أمامنا منظرٌ من مناظر التَّقوى، مع يسوع كحكم قانوني للمباريات، والذي بقرار عادل يُوزِّع الأوسمة والنَّياشين للَّذين دُعوا للمشاركة في السِّباق. والأشخاص الذين تُقدِّمهم لنا هذه المباريات ليحوزوا على إعجابنا، ليسوا هم عازفي قيثارات ولا هُم مصارعين مَهَرَةً، ولا هم أيضًا ممن اعتادوا أنْ ينالوا المجد بواسطة أصوات المزمار الرَّخيمة، بل هم بالأحرى من أولئك الذين تفضل مُخلِّص الكل وتنازل وكرَّمهم بسبب أنَّهُ يُحِبُّ البِرَّ. إنَّ أكثر صَفْوَةٍ مكرَّمة بين هؤلاء المُفضّلين اعني كُلَّ الآخرين هم أولئك الرُّحماء وذوو العطف الذين يشهد لهم المخلِّص نفسه بقوله: «طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ.» (مت ٥: ٧).

هؤلاء كان المسيح يراقبهم وهم يُلقون قرابينهم في الخِزانة، لأنَّنا هكذا سمعنا الإنجيلي القديس يُعلن لنا ذلك هنا. لٰكن أيُّ فَمٍ سيكفي لأولئك الذين يُسبحون إله الكلِّ ! وكما يقول الكتاب: « مَجْدُ اللهِ إِخْفَاءُ الكَلِمَةِ» (أمثال ٢٥: ٢ سبعينيّة)، لأنَّهُ يستحيل أنْ نُسبِّح لُطفه الفائق وعظمة محبته للبشريَّةِ التي لا تُقارن كما يحقّ لهما، فهو ينسب لنفسه ويحسبه، كقرابين كُلّ ما نفعله للإخوة الَّذين أضناهم الفقر، لأنه قال : «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ.» (مت ٢٥: ٤٠)، ومكتوب: «مَنْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ يُقْرِضُ الرَّبَّ، وَعَنْ مَعْرُوفِهِ يُجَازِيهِ.» (أم ١٩: ١٧).

وعن هذا يُعبِّر أحد القديسين عن إعجابه بطريقة جميلة جدًّا بقوله في أحد المواضع، بل بالأحرى يقول لكل بني البَشَر: «إِنْ كُنْتَ بَارًّا فَمَاذَا أَعْطَيْتَهُ؟ أَوْ مَاذَا يَأْخُذُهُ مِنْ يَدِكَ؟ لِرَجُلٍ مِثْلِكَ شَرُّكَ، وَلابْنِ آدَمَ بِرُّكَ.» (أيوب ٣٥: ٧ و٨). لذلك كما قلتُ (مِنْ ذي قَبْلُ) إنَّ أعمالنا وأفعالنا تعمل لمن هم رفقاؤنا وإخوتنا، ولكن الله يأخذها لنفسه لأنَّهُ مُحِبٌّ للبشَرِ، ويحسبها كثمر روحي، وذلك لكيما تكون له فرصة ليُظهر رحمة لأولئك الذين اعتادوا التصرُّف هكذا، ولكي يعتقهم من كُلِّ خطيَّة، لأنه مكتوب: «الرَّحْمَةُ تَفْتَخِرُ عَلَى الْحُكْمِ. » (يع ٢: ١٣).

لذلك، لو سمحتم – ليتنا نُراقب جهاد الرُّحماء ونرى ما هي طبيعته ولمن بالأساس يُخصِّص المخلِّص استحساناته ومدحه بواسطة قراره المقدس والإلهي. لقد تقدَّم بعض الأغنياء وهم جالبون معهم عطاياهم التي جهَّزوها وألقوا قرابينهم في الخزانة، ولكونهم يمتلكون ثروة كبيرة وغنًى وافرًا، فإنَّ العطايا التي قدمها كُلُّ واحدٍ – كما يبدو – كانت كبيرة في حَدِّ ذاتها، ولكنها من الناحية الأخرى صغيرة لا تتناسب مع دخل مقدّميها. ثم جاءت بعدهم امرأة منضغطة في **فقر مُدْقِعٍ لا يُحتمل** والتي كل رجاء معيشتها يكمن في عطف المحسنين، ومن الفتات كانت تجمع بصعوبة ومشقة مؤونة ضئيلة وتافهة بالكاد تكفي لقوتِ اليوم، وأخيرًا بعد كل الأغنياء قدَّمت هذه المرأة **فلسين**، لأنَّهُ لم يَكُن في مقدورها أنْ تُقدِّم أكثر من هذا، وإن جاز القول – فإنَّها جَرَّدَت نفسها مِنْ كُلِّ ما لديها وغادرت الرِّواق المُقدَّس بيدين خاويتين، يا لهذا العمل العجيب والمُدهش، المرأة التي على الدوام تطلب من الآخرين صدقة، تقرض **الله** جاعلةً حتى الفقر في حدِّ ذاته مُثمرًا لإكرام **اللهِ**. لذلك فقد فازت على الآخرين وتكلّلت من قِبَلِ **الله** بجزاءٍ عادل.

لكن ربما يُضايق هذا الكلام بعضًا من الأغنياء، ولذلك سنوَجِّه لهم مَلْحُوظاتٍ قليلة. أنتَ تبتهج أيُّها الغنيُّ بوفرةِ ممتلكاتكَ، نصيبك خصبٌ أكثر مما تتطلبه احتياجاتك الضروريَّة. أنت تحصد حقولًا ومقاطعاتٍ، ولك حقول كروم كثيرة وواسعة وبساتين محمَّلة بما لَذَّ وطاب حتى فَقَدَت مَذَاقها بسبب التأخُّر وضياع موسم جمعها، ولك معاصر وبيادر ومواشٍ لا حصر لها، وبيتٌ جميلٌ مبنيٌّ بثمنٍ عظيم وفيه مخازن كثيرة وملابس منسوجة بألوان مختلفة، وأخيرًا أنت لا تُقدّم بما يتناسب مع دخلك؛ حتى إنَّك عندما تُعطي، فلن تفقد قط سوى القليل جدًّا مِنْ غناك الوافر. أمَّا **تلك المرأة فقد قدَّمت فلسين**، وهي لم تكن تمتلك شيئًا أكثر ممَّا قدَّمتهُ؛ إذ لم يعد يتبقَّى لديها شيءٌ بعد الفلسين وخرجت من الخزانة بيدين فارغتين ولكنهما **يدان سخيِّتان**، فقد قدمت كُلَّ ما تملكه، ألَا يحقُّ لها لأجل ذلك أن تفوز بالإكليل؟ ألم تكن تحقّ لها الأفضليَّة بمقتضى قرار مُقدَّس؟ أمَا تَفَوَّقَتْ هي على سخائك (أيُّهَا الغنيُّ)، على الأقل من جهة استعدادها؟

– إنَّ الحكيم بولس يكتب أيضًا شيئًا من هذا القبيل: «لأَنَّهُ إِنْ كَانَ النَّشَاطُ مَوْجُودًا فَهُوَ مَقْبُولٌ عَلَى حَسَبِ مَا لِلإِنْسَانِ، لاَ عَلَى حَسَبِ مَا لَيْسَ لَهُ.» (٢ كو ٨:١٢). ليس فقط يمكن للغنيِّ أنْ ينال نعمة لدى **الله** بتقديم خيرات للإخوة لأنَّ مخلّص الكل سيقبل تقدمته – بل حتى من يمتلك القليل جدًّا يمكنه أيضًا أن ينال نعمة **الله** بتقديمه القليل الذى له، وأيضًا لنْ يعاني أية خسارة لأجل هذا الذي قدمه، (لأن العَالِمَ بكل شيء سيمتَدِحَ استعداده للعطاء)، وسيقبل نيَّته (الحسنة)، وسيجعله مُعادلًا للغنيِّ، أو بالأحرى سيكلِّله بكرامةٍ أكثر وجاهَةً وامتيازًا.

ويستحقُّ أيضًا أنْ يثير إعجابنا وانتباهنا، إنَّ الجموع التي كانت صاعدة إلى الهيكل، كان البعض منها يقدّم عُجُولًا مسمَّنة، والبعض يقدم غنمًا وَبُخورًا ولُبانًا وأشياء أخرى غيرها لا غِنًى عنها لتقديم الذبائح التي يأمر بها الناموس بطريقة لائقة، لكن نظرة المخلّص لم تكن مركّزة على هؤلاء، بقدر ما كانت مثبَّتة على من يُقدِّمون قرابينهم في الخزانة، أي على من كانوا محسنين وشفوقين، لأنَّهُ يقبل الرَّائحة الطيِّبة للعبادَةِ الرُّوحيَّةِ، لكنه يغضُّ نظره عمَّا يُعمل في رموزٍ وظلال، لأنَّهُ عرف أنَّ الرموز لا تفيد وأنَّ الظلّ ضعيف، لذلك فهو يكرِّم الإحسان إلى الفقير، وإذ يعرف هذا أحد الرسل، فإنه يكتب قائلًا: «اَلدِّيَانَةُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عِنْدَ اللهِ الآبِ هِيَ هذِهِ: افْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ فِي ضِيقَتِهِمْ، وَحِفْظُ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلاَ دَنَسٍ مِنَ الْعَالَمِ.» (يع ١: ٢٧).

ونحنُ نجد أيضًا أنَّ الوصيَّة التي أعطاها **موسى** تحثُّنا على محبة الفقير، وتنهضنا إلى عمل الإحسان، لأنَّ **الله** الذى وضع أمامنا طريق السُّلوك الإنجيلي، هو نفسه الذي حدَّد منذ القديم الوصيَّة **لموسى**، لم يكن إلهًا غيره، إنَّهُ هو نفس الإله الوحيد من حيث إنَّهُ إلهٌ لا يتغير، لأنَّهُ يقول بفم أحد الأنبياء القديسين: «أَنَا الَّذِي أَتَكَلَّمُ إِلَيْكُمْ، قَرِيبٌ» (إشعياء ٥٢: ٦ سبعينيّة). لذلك فهو تكلَّم هكذا بواسطة **موسى** قائلًا: «إِنْ كَانَ فِيكَ فَقِيرٌ، أَحَدٌ مِنْ إِخْوَتِكَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ فِي أَرْضِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، فَلاَ تُقَسِّ قَلْبَكَ، وَلاَ تَقْبِضْ يَدَكَ عَنْ أَخِيكَ الْفَقِيرِ، بَلِ افْتَحْ يَدَكَ لَهُ وَأَقْرِضْهُ مِقْدَارَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ.» (تث ١٥:٧-٨). أنتم تسمعونه يدعو صدقتهم قرضًا، لأنَّ **الله** هو الذي يقبلها وسوف يُعوِّضها ليس بما يساويها بل بالأحرى بكيْلٍ فائضٍ، لأنه يقول: «كَيْلًا جَيِّدًا مُلَبَّدًا مَهْزُوزًا فَائِضًا يُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ.» (لو ٦:٣٨) . وكما يقول **الحكيم بولس**: «لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ.» (٢كو٩:٧). وكون أنَّهُ من الصَّواب أن نكون محسنين للإخوة وليس بُخلاء، وليس كمسألة إلزاميَّة بل بدافع من المحبة أكثر من كونه مُراعاة للوجوهِ وَبِمَوَدَّةٍ متبادلة لا لوم فيها، فإنَّهُ حتى ناموس العهد القديم يُوضحه بقوله: « أَعْطِهِ وَلاَ يَسُوءْ قَلْبُكَ عِنْدَمَا تُعْطِيهِ، لأَنَّهُ بِسَبَبِ هذَا الأَمْرِ يُبَارِكُكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي كُلِّ أَعْمَالِكَ وَجَمِيعِ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ.» (تثنية ١٥: ١٠). ولذلك يقول **بولس الرسول**: «الْمُعْطِي فَبِسَخَاءٍ، الْمُدَبِّرُ فَبِاجْتِهَادٍ، الرَّاحِمُ فَبِسُرُورٍ.» (رو١٢:٨)، لأنَّ المحبَّة التي نُظهرها للفقير ليست غير مثمرة، بل هي دين يُرَدُّ بزيادة.

لذلك ينبغي لنا أن نكون مجتهدين في إتمام هذا الواجب بكوننا مُتيقِّنين أنَّهُ لو وزعنا بيدٍ سخيَّة، فإنَّنا سننفع أنفسنا، لأنَّهُ هكذا يعلِّمنا أيضًا **بولس الطوباوي** قائلًا: «هذَا وَإِنَّ مَنْ يَزْرَعُ بِالشُّحِّ فَبِالشُّحِّ أَيْضًا يَحْصُدُ، وَمَنْ يَزْرَعُ بِالْبَرَكَاتِ فَبِالْبَرَكَاتِ أَيْضًا يَحْصُدُ.» (٢كو٩:٦). وكما لو كان يقطع الكسل من جهاداتنا الصَّالحة، فإنَّ **الرسول بولس** يضيف في الحال هذه الكلمات: «وَاللهُ قَادِرٌ أَنْ يَزِيدَكُمْ كُلَّ نِعْمَةٍ، لِكَيْ تَكُونُوا وَلَكُمْ كُلُّ اكْتِفَاءٍ كُلَّ حِينٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ، تَزْدَادُونَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: فَرَّقَ. أَعْطَى الْمَسَاكِينَ. بِرُّهُ يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ». (٢كو٩:٨-٩).

لأنَّ الذي يُظهر رحمة للفقير، لن يُتخلَّى عنه أبدًا، بل بالأحرى سيُحسب أهلًا للغفران من **المسيح** مخلِّصنا الذي به ومعه يليق التسبيح والسلطان والله **الآب مع الرُّوح القُدُس** إلى دهر الدهور. آمين.

عيد دخول السيّد إلى الهيكل

١– تعريف:

طبعًا إنَّهُ **عيد دخول السيّد إلى الهيكل** كما جاء في إنجيل لوقا (الإصحاح الثاني)، ولكن هو في الوقت نفسه عيد اللقاء، وهذا عنوان أيقونة العيد في اللغة اليونانيّة. هذا الاسم أي اللقاء عُبّر عنه في ليتورجيا الكنيسة الأرثوذكسِيَّة منذ الأيام الأولى للمسيحِيَّة، إذ أنَّهُ:

عيد اللقاء – دخول السيّد إلى الهيكل – لقاء العهد القديم بالعهد الجديد.– لقاء الإنسان القديم بالإنسان الجديد.– لقاء الشريعة والناموس بالنعمة. – لقاء الرمز بالحق.– لقاء النبوءات بواضعها ومحقّقها.

إذًا الهدف من هذا الاسم التركيز على المعنى الجوهريّ للعيدِ، النبوءات تتحقَّق واحدة تلو الأخرى: «السَّماء أصبحت كلّها على الأرض، الخالق يُحْمَل من المخلوقِ ليكون هو نفسه ذبيحةً عن كلّ واحدٍ منَّا».

أمَّا سمعان الشيخ، فيمثِّل الأجيال التي انتظرت الخلاص. وحنّة النبيَّة تمثِّل النُّسك والالتزام والصبر والنَّقاوة. هذه هي صورة الأنبياء الذين يجاهدون دون كَلَلٍ ولا مَلَلٍ. وهذه التسمية، وما يصاحبها من إعلانات، تُظهِر مدى ارتباط الأعياد كلّها بعضها ببعض.

ففي لحظة ابتهاج الشَّيخ بحمل الصبيّ، نراه يطلب انتقاله فَرِحًا، إذ لا موت بمجيء **المسيح، بل هذه هي القيامة**. إلى ذلك، فهو يشير **لمريم** عن الصليب والمجد معًا. فَعِوَضَ التطهير الجسديّ، والتركيز عليه، لتطبيق الشَّريعة، وحتى التقدمة، **يُصبح تطهير الذَّات وتقدمة النفس، المبتغى والمطلوب** للقاء السيّد والمخلّص الآتي، على أن نقبل دم السيّد الذي سال من جنبه على الصليب لتطهّيرنا جميعًا.

في هذا العيد، يتحوّل الهيكل الحجري، الزّائل إلى هيكل بشريّ سماويّ. «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ» (يو ١: ١٤)

وَعِوَضَ سَكْبِ العرق البشري، والتعب الجسدي، لبناء هياكل حجريَّة وحسب، أصبحنا مدعوّين لبناء هيكل روحيّ بالدُّموع والجهاد والنقاوة وإفراغ الذَّات والتوبة. هذا كلّه ظاهر في صلوات العيد وقراءاته وترانيمه. هنا يكمن جمال الليتورجيا الأرثوذكسِيَّة.

٢– عيد سيّدي:

تسمية هذا العيد إذًا بعيد «اللقاء»، ليس وَليدَ الصُدفة ولا كلامًا شعريًا، بل ترجمة حقيقِيَّة لروحانِيَّة الكنيسة وما يعيشه المؤمنون. فمثلًا، لمّا كانت تُقام احتفالات هذا العيد في القسطنطِينِيَّة عام ٦٠٢م في **كنيسة السَّيدة في بلاخيرنا** «Η Παναγία των Βλαχερνών»، لم يأخذ العيد طابعًا مريميًّا، كما ظنَّ بعضهم ، بل كان عيدًا سيّديًّا بامتياز («سيديًّا»، نسبة إلى السيّد)، لأنَّه كما أشرنا سابقًا، يرتبط بكلّ التدبير الخلاصي الذي أعدّه الله للإنسان وحققّه بتجسّده وصلبه وقيامته.

٣– تاريخ العيد الأساسي ١٤ شباط:

ورد في الدراسات ذات الصلة أنّ أصول العيد تعود **إلى كنيسة أورشليم نفسها**. فنقرأ مثلًا ذِكْرًا له، وللمرّة الأولى، في القرن الرابع ميلادي في مذكّرات الرّحالة إيچريا، حيث كان العيد يُحتفل به بعد أربعين يومًا من **عيد الظهور الإلهيّ** الذي كان هو نفسه **عيد الميلاد**. أي كان عيد الميلاد يقع في ٦ كانون الثاني، وبالتالي يصبح عيد الدخول في ١٤ شباط.

هذه طريقة متّبعة في ليتورجيَّا الكنيسة الأرثوذكسِيَّة أيضًا، فعيد رفع الصليب مثلًا يأتي بعد أربعين يومًا من **عيد التجلّي**، لِمَا في الرَّقم أربعين من معاني العبور القياميّ. وكان قدّاس العيد يتمّ **في كنيسة القيامة** وتتناول العظة جوهر العيد ومفهومه الخلاصيّ.

ملحوظة: **مباركة الشُّموع**: أمَّا مسألة الشُّموع ومباركتها، فتعود إلى عهد الإمبراطور مرقيانوس (٤٥٠–٤٥٧م) حيث كان يرافق العيد تطوافًا بالشُّموع.

كذلك نجد عند **القدّيس كيرلُّس الإسكندري** (٤٤٤م) كلامًا يتوجَّه فيه إلى المؤمنين بالاحتفال بالعيد بابتهاجٍ كبير، وهم يحملون الشُّموع المُضاءة. بالإضافة إلى كلمات عظة أورشليمِيَّة تعود إلى القرن الخامس ميلادي تعلن:

«لنكن فرحين ومبتهجين ومنيرين ولتكن شموعنا لامعةً كقلوبنا. فيا

أولاد النور لنقدّم المشاعل والمصابيح إلى النور الحقيقي الذي هو المسيح».

وأيضًا نعرف من خلال سفاريوس بطريرك أنطاكيّة في القرن السادس ميلاديّ (٥١٢-٥١٨م)، أنَّ هذا العيد كان يُحتفل به في كنائس أورشليم والقسطنطينيَّة منذ سنوات عدّة.

٤- تعديل تاريخ العيد لـ ٢ شباط:

يكتب ثيوفانوس في حوليّاته أنَّه في شهر تشرين الأول من عام ٥٣٤م، اجتاح القسطنطينيَّة وباءٌ خطيرٌ أودى بكثيرين ، وزال بيوم ٢ شباط، فأمر عندئذ الأمبراطور يوستينيانس بنقل العيد إلى هذا اليوم.

بالمقابل، نقرأ في التاريخ الكنسيّ عند نيكيفوروس، أنّ الأمبراطور يوستينوس، عمّ يوستينيانس وسلفه، هوالذي قام بنقل هذا العيد.

في الحقيقة هذه المعلومات لا تتعارض فيما بينها. ويرجّح أن يكون يوستينيانس هو من قام بهذه العمليَّة، ولكن لعلَّ الاختلاف يرتبط بتثبيت تاريخ **عيد الميلاد** في القسطنطينيّة في يوم ٢٥ كانون الأول الذي كان في ٦ كانون الثاني في عهد هذا الإمبراطور.

وبحسب سفر اللاويين (الإصحاح الثاني عشر)، يُقدَّم الصبي إلى الهيكل بعد أربعين يومًا من ولادته. وفعلًا هناك ٤٠ يومًا بين ٦ كانون الثاني و١٤ شباط، وإذا كان العيد قد ثُبِّتَ في ٢٥ كانون الأول، فهناك أيضًا ٤٠ يومًا حتى ٢ شباط.

من هنا يمكننا التأكد أنَّه في نهاية القرن الخامس، وبداية القرن السادس، كانت غالبيّة الكنائس في الشرق تحتفل بهذا العيد المبارك.

٥- دخول العيد إلى الغرب:

دخل هذا العيد إلى روما **مع البابا سرجيوس الأوّل** (٦٨٧-٧٠١م) وهو إيطالي - سوري من سيسيليا.نسب بعض الدارسين أن دخول العيد إلى روما القديمة ،كان ليحلّ مكان عيد وثنيّ.

ولكنّ هذا الطرح لم يُحسم، مع التأكيد أنَّ في مضمون عيد الدخول وجوهره ولاهوته ما يختلف كلّ الاختلاف عن أي عيد غير مسيحي.

طروبارية عيد دخول السيّد إلى الهيكل باللحن الأول: «إفرحي يا والدة الإله العذراء الممتلئة نعمةً، لأنَّه منك أشرقَت شمسُ البرّ المسيح إلهنا، تنير الذين في الظلام. فافرح وابتهج أنت أيها الشَّيخ الصدِّيق، بحملِكَ على ذراعيكَ محرِّر نفوسنا، ومانحنا البعث والقيامة».

(التراث الأُرثوذكسي)

عظة حول عيد دخول السيِّد الى الهيكل

الأنجيل فصلٌ شريف من بشاة القديس لوقا البشير، التلميذ الطاهر (لوقا ٢: ٢٢-٤٠)

فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ صَعِدَ بِالطِّفْلِ يَسُوعَ أَبَوَاهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمَاهُ لِلرَّبِّ، عَلَى حَسَبِ ما هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مِنْ أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوسًا لِلرَّبِّ. وَلِيُقَرِّبَا ذَبِيحَةً عَلَى حَسَبِ مَا قِيلَ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: زَوْجَ يَمَامٍ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ ❊ وَكَانَ إِنسانٌ فِي أُورُشَلِيمَ اسْمُهُ سِمْعَانُ. وَكَانَ هٰذَا الإِنسان بَارًّا تَقِيًّا يَنْتَظِرُ تَعْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ ❊ وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يُعايِنَ مَسِيحَ الرَّبِّ ❊ فَأَقْبَلَ بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ. وَعِنْدَ مَا دَخَلَ بِالطِّفْلِ يَسُوعَ أَبَوَاهُ، لِيَصْنَعَا لَهُ بِحَسَبِ عَادَةِ النَّامُوسِ، اقتبلَهُ هو عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ اللهَ وَقَالَ: «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ أَيُّها السَّيِّدُ على حَسَبِ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ. فَأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ أَمَامَ وُجُوهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ» ❊ وَكَانَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ يَتَعَجَّبَانِ مِمَّا قِيلَ فِيهِ ❊ وَبَارَكَهُمَا سِمْعَانُ، وَقَالَ لِمَرْيَمَ أُمِّهِ: «هَا إِنَّ هذَا قَدْ جُعِلَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَهدفًا لِلْمُخَالَفَةِ ❊ وَأَنْتِ سَيَجُوزُ سَيْفٌ فِي نَفْسِكِ ❊ لِكَي تُكْشَفَ أَفْكَارٌ عَنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ ❊ وَكَانَتْ أيضًا حَنَّةُ النَبِيَّة، ابْنَةُ فَنُوئِيلَ مِنْ سِبْطِ أَشِيرَ ❊ هٰذِهِ كَانَتْ قَدْ تَقَدَّمَتْ فِي الأَيَّامِ كَثِيرًا وَكَانَتْ قَدْ عَاشَتْ مَعَ رَجُلِهَا سَبْعَ سِنِينَ بَعْدَ بُكُورِيَّتِهَا. وَلَهَا أَرْمَلَةٌ نَحْوَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، لاَ تُفَارِقُ الْهَيْكَلَ مُتَعَبِّدَةً بِالأَصْوَامِ وَالطِّلِبَاتِ لَيْلًا وَنَهَارًا ❊ فَهذِهِ قَدْ حَضَرَتْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَشْكُرُ الرَّبَّ، وتُحدِّث عَنْهُ كُلَّ مَنْ كَانَ يَنْتَظِرُ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ ❊ وَلَمَّا أَتَمُّوا كُلَّ شَيْءٍ عَلى حَسَبَ نَامُوسِ الرَّبِّ، رَجَعُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى مَدِينَتِهِمُ النَّاصِرَةِ ❊ وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى، مُمْتَلِئًا حِكْمَةً، وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ.

أَيُّهَا الاحباء في هذا اليوم المبارك نحتفل بعيد دخول السيِّد المسيح الى الهيكل ، هذا العيد مُظْهِرًا وناقلًا لنا رسائل ومعاني كثيرة .

قد يتساءل البعض ما معنى تقديم يسوع الى الهيكل وأيضًا ما معنى تقدمة ذبيحة لكلّ ابن بكرٍ ولد ،كما اشار النَصَّ الانجيليّ الذي قرأناه الآن. إنَّ خَلْفِيَّةَ هذا العيد تتعلَّق بالعهد القديم وتتعلق بشرائعه الناموسِيَّة.

النقطة الاولى: معنى تقديم يسوع الى الهيكل بكونه بِكْرًا مِنْ أُمِّهِ بالجَسَدِ ، تعود الى أَنَّ اللهَ طلب من موسى النبيّ أَنْ يقدِّس او أَنْ يقدِّم له (اي الى اللهِ) كُلَّ بِكْرٍ من أَبناء العبرانيين وأَيضًا من الحيوانات .

وصار هذا الحدث لاول مرَّة في العهد القديم اثناء ضَرْبِ اللهِ **لفرعونَ** وضرب ابكار مصر. وتكرَّر طلب اللهَ من موسى أَنْ يُقدِّم له كُلَّ بِكْرٍ عندما أَخْرَجَ الشَّعب العبري من مصر، حتى ليتذكروا كيف أَنَّهم أُخْرِجُوا من أَرضِ مصرَ ، أَرض العبودية بفعل قُوَّة اللهِ.

النقطة الثانية: ما معنى تقديم ذبيحة عند ولادة المرأة؟. فَرَضَت الشَّريعة في العهد القديم أَنَّ المرأة التي تَلِدُ ذكرًا او انثى، لا تكون طاهرة حتى تُكمل ٤٠ يومًا على ولادة الذَّكر، وثمانون يومًا على ولادة الأُنثى ، عندها تَكْمُل أَيام تطهيرها، فتأتي الى الكاهن وتقدِّم عن طفلها خروفًا عمره سنة واحدة اذا كانت غنيَّة او زوجَيْ يمامٍ او فَرخَيْ حمام اذا كانت فقيرة.

بناءً على معرفتنا لخلفيَّة هذا العيد، نستطيع ان نفهم النَصّ الانجيلي الذي قرأناه الآن بشكلٍ واضحٍ ، لذلك **فيسوع** هو قدوسٌ مثله مثل اي ابن بكر مولود من ابناء شعبه، وأيضًا فَهِمْنَا معنى تقديم الذَّبيحة مِنْ أَجْلِ تطهير أُمّ يسوع بعد انتهاء ٤٠ يومًا على ولادة ابنها البِكر **يسوع** .

السؤال: هل كان **يسوع وأُمُّهُ** بحاجةٍ الى التَّطهير، طبعًا لا، ومع ذلك جاءا الى الهيكل طاعةً وخضوعًا للنَّاموس وللشَّريعةِ .

أَلَمْ يَقُلِ **المسيح** أَنَّهُ جاء لا لينقض الشَّريعة بل ليُكمِّلها ، اذًا **يسوع** تَمَّمَ كُلّ ما تفرضُه الشَّريعة مِنَ الختانة، والاحتفال بالاعياد، وممارسة العبادة والصلوات في الهيكل ، وكيفيّة الدخول إليه .

اذًا، أَراد **يسوع** أَنْ يَخضع رغم كونِهِ **إلهًا** لهذه الشَّريعة الدينيَّة، لكي يعلِّمنا ويجعلنا دائما قريبين مِنَ اللهِ في حضرته الذي هو مصدر كل شيءٍ واليه كُلُّ شيءٍ يعود .

إِنَّ انجيل اليوم يروي لنا كيف صَعِدَ **مريم** ويوسف الى هيكل اورشليم لكي يُقَرِّبَا **يسوع** للهِ ، ولكن يخطر على بالنا هذا السؤال وهو: أَلَمْ يكن **يسوع** هو نفسه **الرَّبّ؟**. فالجواب بالطبع هو نعم .

ولكنه أيضًا في نفس الوقت، طفلٌ مثل سائر الاطفال صار شبيهًا بِنَا في كُلِّ شيءٍ ما عَدا الخطيَّة، تَجَرَّدَ من ذاته، ومُتَّخذًا صورة عبد واطاع حتى الموت ، الموت على الصليب وليكون مِثالَنا الاعلى.

أيضًا يخبرنا الانجيل أَنَّ أَهْلَ **يسوع** كانوا حاملين بايديهم زوج يمام او فرخي حمام على حسب الشَّريعة ، هذه كانت تقدمة الفقراء، ربما هناك سائلٌ يسأل: أَما كان بإمكان أَهْلِ **يسوع** أَنْ يقدِّموا تقدمة الأغنياء، لأَنَّهُ قُدِّمَ **ليسوع** عند ولادته الذَّهَبَ، يقول التَّقليد: أَنَّ **مريم العذراء** وزَّعت كُلَّ الهدايا والذَّهَبَ على الفقراءِ وابقت القليل القليل لأجل رحلتهم او هربهم الى أرضِ مصرَ.

اليَمامُ أَيُّهَا الأحباء: يرمز للطَّهارة والعذريَّة، إِذْ إِنَّهُ عندما يموت أَحَدُ الطيرين (سواءً كانَ الذَّكر أو الأُنثى)؛ لا يأخذ الطير الحيّ الباقي، شريكًا آخَرَ لَهُ، بدلًا من الذي ماتَ. بل يذهب الى الجبال بعيدًا عن ضجيج العالم ، أَمَّا الحمام فيرمُز الى الوداعة، وبحسب النَّاموس أيضًا، هناك خمس أنواع من الذبائح، ومنها ذبيحة الخطيَّة وهي إلزاميَّة، يشترك فيها طير الحمام، فيذبح احد الطيرين ويترك الآخر ، دالًا بذلك على طبيعتين للمسيح الالهيَّة والانسانيَّة ، الاولى التي لا يسود عليها الموت والثانية التي ذبحت على الصليب.

كانَ حاضرًا في الهيكلِ بالهامِ **الرُّوح القُدُس**، رجلٌ بارٌ طاعنٌ في السِّنِ اسمه سمعان مملوءًا من خوف اللهِ ، ينتظر مجيء **المسيح** ، وأُعْلِنَ له بالرُّوح، بأَنَّهُ لا يرى الموت حتى يعاين **المسيح المخلِّص**.

فلما دخل يوسف **ومريم** الى الهيكل عرفه سمعان بواسطة **الرُّوح القُدُس** أَنَّ الطفل **يسوع** هو مخلص العالم، والنُّور الذي أُعلن لكُلِّ الشُّعوب. فحمله على ذراعيه مقدِّمًا الشُّكر للهِ . وقائلا هذه الصلاة الرَّائعة : «**الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ أَيُّها السَّيِّدُ على حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ. فَأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ أَمَامَ وُجُوهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ**» .

إِنَّ هذه الصلاة التي قالها **سمعان الشيخ** تُرَدِّدها الكنيسة يوميًّا في كُلِّ صلواتها، تُرَدِّدها كُلُّ نفسٍ مسيحيَّة مشتاقة الى الفرح السَّماوي والى الدِّيار السَّماويَّة، فنقولها بعد القداس الالهي، في صلاة الشكر بعد المناولة، وكذلك في صلاة الغروب .

وكان هناك أيضًا حاضرٌ في الهيكل **حنَّة النبيَّة** التي كانت تقوم وتصلِّي ليلًا ونهارًا في الهيكل بعد أَنْ رأت الطفل الالهي ، خرجت من الهيكل تحمد اللهَ وتُحدِّث عن الطفل الالهي جميع الذين كانوا ينتظرون خلاصهم .

أَيُّهَا الاحباءُ. يُطلق على هذا العيد: عيد « اللقاء» ففيه تتمّ لقاءات مختلفة. أَولها لقاء سمعان مع الطفل الالهي حسب وعد **الرُّوح القُدُس لسمعان**. وهو ايضًا لقاء الاجيال: الطفل ، **ومريم** وحنة الطَّاعنة في السِّن ويوسف وسمعان .

أَيضًا لقاء العهدين القديم والجديد . وهو لقاء الشَّريعة والنِّعمة، إِذ أَنتهى العهد القديم وبدأ العهد الجديد ، لقد أَتَمَّ العهد القديم مُهمَّة تأمين ولادة المخلص التي اوكلت اليه وهو **يسوع**.

هذا العيد هو أَولًا وأَخيرًا وقبل كُلِّ شيءٍ: لقاء **اللهِ بالانسان** ، اي لقاء البشريَّة بخالقها والهها، الطفل الجديد، هو الاله الكائن قبل الدهور .

إِذًا يا احبتي: قُرِّبَ **يسوعُ** في هذا اليوم **للهِ** في الهيكل استباقًا لأمرٍ آخر. فعندما كانَ صغيرًا قدَّمَهُ والِدَاهُ **للهِ**، ولكنَّهُ على الصليبِ قَرَّبَ نفسَهُ هوَ ذبيحةً وقربانًا لا عيبَ فيهما، وذبيحةَ مساءٍ في سبيلِ أحبائِهِ، فهوَ بذلكَ عَمِلَ مشيئةَ **اللهِ** في حياتِهِ، لا مشيئَتَهُ.

إِنَّ عيدَ اليومِ هوَ عيدُ كلِّ واحدٍ فينا، لأَنَّنا عندما كُنَّا صغارًا قُرِّبنا **للهِ** بواسطةِ والِدَينا في الكنيسة، لكي ندخلَ في علاقةٍ قويَّةٍ معَ **اللهِ** أبينا الذي يُحِبُّنا ويفعلُ كلَّ شيءٍ لأجلِنا ولمصلحتِنا.

وعيدُ اليومِ هوَ أيضًا عيدُ الأطفالِ جميعًا لأَنَّهُم قُرِّبُوا **للهِ** في الكنيسةِ بواسطةِ والِدِيهم، فهُم أملُ الكنيسةِ وهمُ الذينَ سوفَ يشهدونَ **ليسوعَ المسيحِ** في حياتِهم عندما يكبرونَ قولًا وفعلًا.

نحنُ كُلُّنا مدعوونَ لعيشِ هذا العيدِ بمحبةٍ وتقوًى، على مثالِ سمعانَ وحنَّة، **ومريمَ** ويوسف، **ويسوعَ** الذي قُرِّبَ **للهِ**، وهوَ بذلكَ يملأُ قلوبَنا بالسَّلامِ الذي نحتاجُ إليهِ لأَنَّهُ هوَ سلامُنا وخلاصُنا.

إِنَّ تقدمةَ **يسوعَ المسيحِ** هيَ تقدمةُ كلِّ واحدٍ فينا، لأَنَّنا مَدْعُوُّونَ دائمًا لأَن نُقدِّمَ **للهِ** كُلَّ شيءٍ في حياتِنا. كُلُّ يومٍ في حياتِنا هوَ بمثابةِ تقدمةٍ **للهِ**، لأَنَّنا كُلَّ يومٍ نصلِّي إلى **اللهِ** ونطلبُ رحمتَهُ ومساعدَتَهُ لنا في هذا اليوم، لأَنَّنا بمعزلٍ عنهُ لا نستطيعُ شيئًا. فكُلُّ يومٍ هوَ بمثابةِ إِتِّباعِ **يسوعَ المسيحِ** وحملِ صليبه، الذي أحبَّ الانسان إلى أقصى الحدودِ:حتى الموتِ على الصليبِ لكي يُخلِّصَنا من خطايانا ويُعيدَنا إلى حضرةِ **اللهِ** وإلى العلاقةِ القويَّةِ الثابتةِ معه.

فكُلُّ يومٍ اذًا هوَ بمثابةِ السيرِ للتمثُّلِ **بيسوعَ المسيحِ** الذي عَمِلَ مشيئةَ الآبِ في حياتِهِ وليسَ مشيئَتَهُ. فالتقدمةُ **للهِ** هيَ بمثابةِ الوجودِ دائمًا في حضرةِ **اللهِ** الذي يستقبِلُنا ويُسرِعُ لمُلاقاتِنا. وعلينا بدورنا نحنُ أن ننطلقَ بسلامٍ لملاقاةِ **الرَّبِّ**، امين.

(السراج الأرثوذكسي)

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد الآباء الأجداد القديسين في مدينة بيت ساحور

25/12/2022

يكرز **القديس غريغوريوس بالاماس** قائلًا: «لا يمكن إعطاء وصف لنسب المسيح من جهة لاهوته ولكن نسبَهُ هو بحسب طبيعته البشريَّة، إذ صار من نسل البشر لأنه صار ابن الإنسان لكي يخلِّص الإنسان.»

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح

أيها المسيحيون الأتقياء

إنَّ نعمة **الرُّوح القُدُس** قد جمعتنا اليوم في هذا المكان والموضع المقدس في قرية الرُّعاة حيث ملاك **الرَّبِّ** بشرنا نحن البشر بالفرح العظيم، وحيثُ هنا ظهر مع الملاكِ جمهورٌ من الجند السماوي يسبحون **الله** قائلين: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ» (لوقا ٢: ١٤)، لكي بشكر نُعَيِّد لتذكار الذين قبل شريعة موسى والذين على عهد الشريعة أجداد ربنا ومخلصنا **يسوع المسيح** بالجسد. وخاصةً إبراهيم رئيس الآباء أوَّل من أُعطيَ إليه الوعد من **الله** قائلًا له: « وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ» (تكوين ١٢: ٣).

حقًا كما يقول الكتاب المقدس انَّهُ أُعطيَ لإبراهيم الوعد لأنه سمع لوصيه **الله** انَّهُ ستتبارك بواحدٍ من نسلهِ، الذي هو **المسيح**، كُلُّ شعوب الأرض، «وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي» (تكوين ٢٢: ١٨)؛ وبحسب المزمور: «يَكُونُ اسْمُهُ»، أي المسيح إِلَى الدَّهْرِ، وَيَتَبَارَكُونَ بِهِ. كُلُّ أُمَمِ الأَرْضِ يُطَوِّبُونَهُ.» (مز ٧١: ١٧). وأمَّا أرضُ الميعاد ليست هي إلَّا أرض فلسطين المباركة ولاسيِّما مدينه بيت لحم والتي فيها بحسب شهادة الانجيلي لوقا الصادقة: «أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ.» (لوقا ٢ :١١).

إنّ كنيسة **المسيح** المقدسة تُكَرِمُ تذكار الآباء الجدود القديسين لكي تبرهنَ بفم **الرسول بطرس**: «أَنَّنَا لَمْ نَتْبَعْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً، إِذْ عَرَّفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ، بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ.» (٢ بطرس١: ١٦).

يشير الآباء الجدود بشكلٍ عام والانبياء بشكلٍ خاص لهذه العظمة والجلال تحديدًا في التاريخ البشري لقوة وحضور ابن كلمه **الله** من جهة **الآب** و **ابن الانسان من جهة أمِهِ**.

إنَّ تأنس وتجسد **كلمة الله** ربنا ومخلصنا **يسوع المسيح** من **دماء النقيَّة العذراء مريم** و من **الرُّوح القُدُس** يُشَكِّلُ حدثًا عالميًّا لا جدال فيه يشهد عليه تاريخ العالم المقدَّس من جهةٍ. وأيضًا في نفس الوقت يشكل سرًّا كبيرًا لا يستطيعُ أن يفهمهُ ويدركهُ العقل البشري أي المنطق البشري كما يقول **الرسول بولس**: «وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ، تَرَاءَى لِمَلاَئِكَةٍ، كُرِزَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، أُومِنَ بِهِ فِي الْعَالَمِ، رُفِعَ فِي الْمَجْدِ.» (١تيمو ٣: ١٦).

ويشير **القديس غريغوريوس بالاماس** لِسِرِّ حُسن العبادة الإلهي العظيم هذا أي سرّ التدبير ويتساءلُ قائلًا كيف سيتمّ وصف نسب من كان في البدء عند **الله** وهو إلهٌ، الذي هو **كلمةُ الله** وابنه؟ الذي لم يكن لهُ أبٌ «بحسب الجسد» قبلهُ، ولهُ اسمٌ مع الآب يفوقُ كل اسمٍ (في٢: ٩).

حقًّا أيُّها الإخوة الأحبة إنَّ نسب **المسيح** يتمّ وصفه بحسب طبيعته البشريَّة، أي بشريَّته التي أخذها من أجل خلاصنا نحن البشر كما يقول الحكيم **بولس الرسول**: « إِنَّ اللهَ اخْتَارَكُمْ مِنَ الْبَدْءِ لِلْخَلاَصِ، بِتَقْدِيسِ الرُّوحِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ.» (٢تس ٢: ١٣).

وبحسب تفسير **زيغافينوس** فإنَّ **كلمة الله** قد صار إنسانًا لا لِيَغُضَّ طَرْفَهُ عن أهوائنا وضعفاتنا البشريَّة عامَّةً، بل أخذ كُلّ طبيعتنا البشريَّة ما عدا الخطيئة، **فالمسيح** لهذا جاء لا لكي يتغافل عن خطايانا وأهوائنا، بل لكي يُطهرنا منها بفضائلهِ كطبيب وليس كقاضٍ.

وأمَّا ما يخصُّ بالطبيعة الإلهيَّة أي ألوهة **يسوع المسيح** فهي لا يُسبر غورها ولا تُدرك «فاللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ.» (يو١:١٨) كما يُعَلِّمُ **القديس يوحنا الإنجيلي** وكما يكرز **الرسول بولس**: «اللهِ وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ، الَّذِي لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الأَبَدِيَّةُ. آمِينَ.» (١تيم ٦: ١٦) وكما يقول **الرَّبُّ**: «لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ» (خروج ٣٣:٢٠)، ولكن في الحياة الأخرى فإن الكاملين سيعاينونه كما يؤكد **الرَّبّ** بذلك: «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ.» (متى ٥:٨). فلهذا نحن مدعوون أيها الإخوة الأحبَّة لكي نطهِّر قلوبنا وأن يؤهِّلنا لكي نسجد باستحقاق **للمسيح** المولود الذي «أَرْسَلَ عَبْدَهُ فِي سَاعَةِ الْعَشَاءِ لِيَقُولَ لِلْمَدْعُوِّينَ: تَعَالَوْا لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ.» (لوقا١٤:١٦-١٧)، كما سمعنا في قراءة انجيل اليوم، ويفسِّر **القديس**

كيرلُّس أقوال الإنجيل هذه قائلًا: :« إنَّ الله الآب قد أعدَّ لسكان الأرض في المسيح المواهب التي تُعطى للعالم من خلاله، كغفران للخطايا، والتبني المجيد، وشركة الرُّوح القُدُس، وملكوت السَّماوات.» وأمَّا **القديس بولس الرسول** فيقول: « وَلَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَنَالَ التَّبَنِّيَ.» (غلا ٤: ٤)، ولنسمع مرتِّل الكنيسة الذي يهتف قائلًا: «أيُها المُحِبُّ البَشر بِما أَنَّكَ إلهُ السلامِ وأبو المراحم فقد أرسلتَ لنا رسولَ رأيكَ العظيم مانحًا إيَّانا سَلامكَ فلذلك إذ قد اهتدينا إلى نور المعرفة الإلهيَّة فنحن نَدَّلج من الليل مُمجدين تنازلك.»

إنَّ ملاك رسول الرأي العظيم **للهِ الآب**، أي نور المعرفة الإلهيَّة، ربنا ومخلصنا **يسوع المسيح** الذي هيَّأ له الأجداد، وتنبَّأ به الأنبياء، فلنسارع نحن بالتوبة، لكي **بشفاعات الفائقة البركات والدة الإله الدائمة البتوليَّة مريم** ، وبتوسلات من نُعيد له اليوم **أبينا الجليل في القديسين اسبيريدون الصانع العجائب** حتى نحظى نحن أيضًا بإعادة ولادتنا الرُّوحيَّة من جهةٍ، وتجديدنا الجسدي من الجهة الأخرى.

آمين.

أعياد ميلادية مجيدة

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

سؤال: لِمَ لا نستطيع أَنْ نتبع طريق التَّضحية بأنفسنا في حين أَنَّ **المسيح** قام بذلك بنفسهِ؟

الشيخ: لقد قام بذلك بنفسه لأنَّهُ **الله** فعليًّا، **كلمة الله** المتجسد. الشَّخص الذي رأيناه كان **يسوع الإنسان**. لكن يسوع الإنسان كان بنفسه **الكلمة والله**. كونه إلهًا وإنسانًا معًا، كانت النعمة الإلهيَّة تسكن فيه. ذاك الذي هو رُبُّ الحياة هو واحد معنا ورأس جسدنا. لأنَّنا مُكْتَسُونَ به. كل من اعتمد في المسيح قد لبس في المسيح. «لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ:» (غل ٣: ٢٧).

لقد «لبسناه» بالمعمودية ونحمله فينا من خلال المشاركة في الأسرار كُلّ يوم. إنَّهُ يشترك في نفس الجسد والدم مثلنا. إنَّهُ ليس في مكان بعيد حتى نطلب منه أن يصنع بداية ويأتي إلينا. إنَّهُ بالفعل في داخلنا. نستحضر دعم نعمته: «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي» (في ٤: ١٣) كما يقول **بولس الرسول**. لكنني قلت إنَّ ذلك سيكون الأساس. أَنَّ هذا سيكون الأساس وأنَّ **الشيطان** سيحاول تهديدكم في الأوقات الصعبة. لا تثبط عزيمتكم، لأنَّ كُلَّ تهديداته هباء. «لأَنَّ الَّذِي فِيكُمْ أَعْظَمُ مِنَ الَّذِي فِي الْعَالَمِ» (١يو٤: ٤).

سؤال: قَدَّم **الابن** نفسه فداءً عن خطايا الناس. **لِمَن؟ الآب** لا يريد ذلك، لأنَّهُ يحب **الابن**. **لِمَن قدَّم نفسه؟**

الشيخ: لا، يا بُنيَّ. من أين أتيتَ بهذا؟ لم يُقدِّم نفسه كَفِدية، ولا يوجد فرق بين **الآب والابن**. هذا معناه اختلاف الإرادة بين أشخاص الثالوث الأقدس. ما يريده **الآب**، يريده **الابن** كذلك. على الرَّغمِ من أنَّهم أشخاص مكتفون ذاتيًّا، فلا فرق في الإرادة أو الرأي. الطبيعة واحدة، لكن الأشخاص ثلاثة، مكتفون ذاتيًّا. لكن جميعهم لهم نفس الرأي. تَمَّ خلاص البشريَّة «بإرادة الآب الصالحة، وإفراغ ذات الكلمة وتآزر الرُّوح القُدُس». **كلمة الله** لم يكن في خدمة أحد. ولكن بسبب محبته العظيمة، صار معيدًا للخلق إذ كان سبق له وكان الخالق بالفعل. وهناك سبب آخر أيضًا. أن يتّخذ **كلمة الله** طبيعة أخرى حتى لا تتأثّر صفة الأقانيم الثلاثة – الآب يجب أن يبقى الآب إلى الأبد، والابنُ

الابنَ إلى الأبد، والرُّوح القُدُس المعزّي إلى الأبد– لهذا كان ضروريًّا لذلك الأقنوم، الذي كان **ابن الله**، أن يتجسّد ويصبح **ابن الإنسان**. هذا لا يعني أَنَّهُ تصرّف بخضوع أو دفع فِدية. هذا ما يقوله **البروتستانت والكاثوليك**. لقد تأثر بالمحبة وفقط بالمحبة. تمامًا كما أَنَّهُ خلق كل الأشياء بالمحبة لكي ينقل محبّته لأشيائِهِ المخلوقة، وليس من حاجته لذلك، كما اعتقد **الإغريق القدماء**. إن **كلمة الله** هو الواسطة التي بها تمّ الخَلق. وهكذا، الكلمة هذا «وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ» (غل٤:٤) وكما حَكَمَ ملك الدهور، أتى «**مُفْرِغًا ذاته، من دون تلقي أي أوامر، لا ليكون ضحية، بل مُحَرِّكًا فقط بالمحبة. الآب والرُّوح القُدُس شاركا في نفس المحبة. الآب سُرَّ بأن يتجسّد الابن**». **كلمة الله** كان دائمًا في حضن **الآب**. إذا وصفنا **الآب** بأنه نوس، فقد كان **الكلمة** دائمًا عنده. لم يكن هناك نوس بدون **كلمة**. كان **الكلمة** موجودًا في نفس الوقت منذ الأزل. لقد كان موجودًا في هدوء جلال الله غير المحدود. عندما أراد **الله** أن يصنع أشياء مخلوقة، كان **الكلمة** ذراعه للخلق. «**هو تكلّم وهم وُلدوا**». في الوقت نفسه، ظهر **الكلمة** مع الأشياء المخلوقة، على الرَّغم من أَنَّهُ كان غير مرئي حتى ذلك الحين. يقول **يوحنا الانجيلي**: «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ.» (يو١:٣). عندما حان وقت إعادة التوازن للخليقة التي ثارت، ظهر **الكلمة** نفسه وأفرغ ذاته. ما معنى «أفرَغَ»؟ لقد تنازل، حتى يتمكن من الاقتراب من الخليقة، كما يقول **الأبّ إسحق (إسحق السوري)** في عظة جميلة. تواضع وتنازل حتى لا تختفي الخليقة عند ظهوره فيستطيع التحدُّث معها. هذا هو المعنى الأعمق: حتى يتمكن من اتّخاذ الخليقة بنفسه وينقل إليها قداسة الأقنوم. من خلال الطبيعة البشريَّة، ألبَس نفسه العالم المخلوق وجلب إليه كل طاقات نعمته الإلهيَّة، حتى يتمكن من تقديس الخليقة بأقنومه. هذا لم يكن من الحاجة ولا هو كان ضحية.

ملحوظة: استعمل القديس غريغوريوس بالاماس كلمة «نوس» بمعنين: الرُّوح بكاملها وكقوة الرُّوح.

والآن نأتي إلى وجهة نظر أخرى. يقول الإنجيل أَنَّهُ عندما عاد السبعون تلميذًا من كرازتهم، أخبروا **الرَّبَّ** بفرح: «يَا رَبُّ، حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ!» (لو١٠:١٧). فقال **المسيح**: «رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ.» (لو١٠:١٨). بطبيعة الحال سنقوم بتحوير ذلك. لم يكن ينبغي أن يقال هذا الكلام هكذا. لكن يسوعنا «الوَدِيع وَمُتَوَاضِع الْقَلْبِ» كان يتجنب التباهي دائمًا. كان بإمكانه القول: «الذي رأيتموه الآن يخضع لكم باسمي هو الذي طرحتُه من السَّماء وكنت حاضرًا عندما سقط مثل البرق». لكن **الرَّبَّ** تجنب كلمة «أنا».

نحن الآن ندخل في معنى لاهوتي أعمق ونفسّر كيف حدث السقوط. بحسب **الرَّبِّ** ، تمّ **السُّقوط** مثل البرق، في ومضة. في لمح البصر، خضع مليارات الملائكة الذين سقطوا لتغييرَيْن. أولًا، أخذ **الله** منهم الاستنارة والكرامة والكمال الذي كان لهم. وفي الوقت نفسه، قام بتغيير شكلهم. بحسب **الآباء**، كانت مراتب **الشيطان (لوسيفر)** الأجمل. بومضةٍ، ألقى بهم وأخذ قداستهم ونورهم وغيَّر شكلهم.

الآن نأتي إلى الشكل الثاني من الإعلان. كما يخبرنا **الرَّبُّ**، نحن ننتظر «قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي». كيف تصف كنيستنا مسألة تحديد المجيء الثاني؟ ألَا تقول أن مجيء **كلمة الله** سيكون «كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى الْمَغَارِبِ»؟ وأَنَّهُ في تلك الأزمنة، سيقوم الجميع ويحضرون أمامه.

من غير المناسب أن يقبل الناس الجدّيون نظريات أيٍّ كان. نحن لا نريد مؤشرات بل نريد أَدِلَّةً. نحن نؤمن بإله محدَّد، وليس **إلهًا مجرّدًا**، معه نحن نتّحد أقنوميًّا من خلال تنازله الطوعي. وهذا هو التقديس. ولكن لا تنسوا أن هناك **شيطانًا** أيضًا وأَنَّهُ **يقاتل**. تذكروا الجارية في أيام الرسل التي «كان بِهَا رُوحُ عِرَافَةٍ» (أعمال ١٦:١٦) ، وكانت تمارس التنجيم وتتنبأ بالأشياء. كيف يتنبأ **الشيطان؟ الشيطان** موجود كظاهرة خارقة ولديه قدرات خارقة، بسبب حساسية طبيعته وحركاته. إنه يتحرّك مثل النوس. فكروا بحركة نوسِنا، كيف تبدو. أنت الآن هنا؛ ثم تفكّر بنيويورك أو لندن أو المكان الذي أتيتَ منه. بِكَمْ جزءٍ مِنَ الثانية حدث كل ذلك؟ هكذا تتحرك **الملائكة والشياطين**. الناس والملائكة يرَون كما يرى **الله** باشتراكهم في نعمة **الرُّوح القُدُس**. **الشياطين، كأرواح، يخمّنون**. لقد اكتسبوا الكثير من الخبرات من سنوات حياتهم الطويلة. يرون شخصًا ما، على سبيل المثال، ينطلق من لندن ليأتي إلى هنا. إذا كان أحد معارفي فربّما أراه يأتي في حلم. قد يُظهرون لي ذلك لأنّهم يرونه يحزم حقيبته ويحمل جواز سفره. يتحركون على الفور. ثم هناك رموز أخرى في الخليقة تساعدهم. إنَّهم هؤلاء. كما أنَّ هنا في المجتمع الشرطة والجيش والسلطات المختلفة ونظام، فنرى ونفهم، على سبيل المثال، من زيهم المميز مَن ينتمي إلى البحرية أو القوات الجويَّة وما إلى ذلك، كذلك يمكن **للشياطين** معرفة من هم الموسومون للخلاص. يقول بولس الرسول أنَّ **الله**: «اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ» (أف١:٤)، حتى أنَّ المختارين للخلاص يحملون علامات نعمة الله، وأنَّ **الشياطين** كارواح يرونهم ويفهمون. في سيرة **القديس ثيوذوروس التيروني** نرى أنَّ **القديس** أثناء استشهاده، كان يجلد **الشياطين** التي كانت تصرخ: **«ألم نعلم أنه سوف يحرقنا؟ ألم نرَ أنه سوف يكون هكذا منذ مولده؟»** منذ ولادته، كانت العلامات عليه وكانوا يعلمون أنه سوف يكون رجل الله. من وجهة النظر هذه، لا نبوءة. إنَّهم لا يملكون موهبة التنبّوء لأنَّهم فقدوا النعمة **وأظلموا وأدكنوا**. ولكنهم يفهمون بسبب سهولة حركتهم وتجربتهم وقربهم من الملائكة الذين يختلطون بهم. المخلوقات كلها تحفظها **الملائكة**. بأمر الله، تحفظ **الملائكة** الخليقة في وئام. **الشياطين** تراقب **الملائكة** وتستنتج. سيكون هنا أمر من الله أو زلزال. أمر الله **الملائكة** الحارسين أن يرحلوا. فترى **الشياطين** أَنَّ شيئًا ما يحدث لأنهم يعرفون ما حدث من قبل فيصفون الأشياء من خلال **المنجّمين والسحرة والوسطاء**. في معظم الأوقات يخلطون الأمور ببعضها وأحيانًا أخرى يثبت أنَّهم مخطئون. لأنَّ **الرَّبَّ** يغيّر القرار. يقرر الله أن يدمر مكانًا معينًا لكن إما الناس الذين هناك أو الذين ماتوا ولديهم الجرأة في الصلاة يبدأون بالصلاة فيغيّر الله خطته. **الشياطين** تكون قد رأت وقالت **للسحرة** أن

هذا سوف يحدث لكنه لا يحدث لأن الناس غيروا فكر الله وقراره. ألم يقل عن نينوى؟ لهذا السبب لم يرغب يونان بالذهاب إلى هناك للتبشير. كان يعلم أنهم سيتوبون وأَنَّ الله سيغير رأيه وأنه سيبدو كاذبًا. لهذا السبب غادر واضطر الله أن يلزمه بالذهاب إلى هناك.

سؤال: الشعور بقدوم أحدهم، ألا يمكن تفسيره بالتخاطر؟

ملحوظة: (التخاطر أو التيلباثي (بالإنجليزية: Telepathy) هو مصطلح صاغه **فريدرك مايرز** عام ١٨٨٢ ويشير إلى المقدرة على التواصل ونقل المعلومات من عقل إنسان لآخر، أي أنَّهُ يعني القدرة على اكتساب معلومات من أي كائن واعٍ آخر، وقد تكون هذه المعلومات أفكارًا أو مشاعر أو صور أو غير ذلك، وقد استخدمت الكلمة في الماضي لتعبر عن انتقال المعلومة.)

الشيخ: ما من شيء اسمه تخاطر. هذا ما كُنَّا نقوله. إمَّا أَنْ تكون هناك نعمة الله أو **خداع الشياطين**. عندما يبدأ الناس في العيش كمسيحيِّين، بعد خروجهم من هوامش حياتهم الخاطئة غير الطبيعيَّة، يبدؤون في العيش بشكل طبيعي. من الطبيعي، ينتقلون إلى ما فوق الطبيعة، نحو التقديس. ثم يدخل حدسهم اللعبة، وهي موهبة كانت لديهم قبل السقوط. بعد الحدس، يتبع ذلك الاستبصار الذي يتبعه البصيرة. ثم تأتي النبوءة، تزداد بالنعمة. الأشخاص الذين يخافون الله قد يرون ما قد يرون بالحدس أو الاستبصار أو البصيرة أو النبوءة. وفقط بهذه الطريقة. ماذا يعني التخاطر؟ الناس الساقطون ساقطون وهم خطأة محرومون من كل شيء. لم يبق لهم شيء. ما تقوله عن نقل الأفكار يمكن أن يحدث فقط بعمل **الشيطان**.

سؤال: نحن نراه في الكتب العلمية ؟

الشيخ: **السِّحر** هو كلمة علميَّة. كانت **القديسة كاترينا** بارعة في **السِّحر**، وكذلك عدد من الآباء الآخرين، قبل دخولهم إلى نعمة الله.

سؤال: أَوَدُّ أن أسأل شيئًا عمليًّا، و غالبًا ما يسأله الأطفال. يقول القديس بولس إنَّ الرجال والنساء متساوون أمام الله. فلماذا يُمنع الكهنوت عن النساء؟ **والدة الإله كانت امرأة.**

الشيخ: **والدة الإله** كانت استثناءً، وهي فريدة من نوعها. تَمّ اختيارها لتيسير إفراغ **كلمة الله** لذاته. هذا لا يمكن أَنْ يتكرَّر. سبب السقوط حَرَّكَتْهُ امرأة ما أظهَر أنَّها كانت أضعف الاثنين. بصفتها الأضعف، لم تتمتع بالثقة لتكون وكيلًا أصيلًا. والدليل على ذلك أنَّها كانت **سبب السقوط**. الآن، إذًا اختيار عذراء لتسهيل تدبير الله كان استثناءً واحدًا ولمرة واحدة، ولا يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك. كان عليه أن يصبح إنسانًا ويولد بأحكام طبيعيَّة. لهذا كان ضروريًّا العثور على عذراء لتقوم بذلك. وبالطبع، النساء داخلات في حياة البركة لكن في الواقع، لم يخلق الله امرأة بل خلق الرَّجُل. لقد توقّع السقوط فخلق المرأة لتكون زوجة أي شريكة في ظروف ما بعد السقوط. في المستقبل، سوف تُمحى الطبيعة الأنثويَّة من جديد إذ ستكون هناك عودة إلى الخليقة الأولى: «لأن الله خلق الإنسان»... من المؤكد أن الكنيسة تمنح الاحترام للمرأة وترفعها فوق كل نظريَّة أو أيديولوجيَّة بشريَّة أخرى. وحدها الكنيسة اعتبرت المرأة متساوية مع الرجل. ولكن لا، لم يُسمح لهنّ بأن يصبحن كهنة، مع أنهن مؤهّلات لأن يصبحن قديسات.

لكن يبدو أنَّ المرأة لم تفهم الأمور بشكلٍ واضحٍ في بداية الخلق، ولهذا السبب لن يتحقَّق هذا الفهم في المستقبل. اعتقَدَ اليهود أن الزواج هو الهدف المطلق للناس وسألوا ربنا عما سيحدث في المستقبل. قال لهم: أنتم مخطئون ولا تعرفون الكتب المقدسة. لا يوجد شيء مثل هذا في الملكوت. على الرغم من وجود الجنس منذ بداية الخلق، إلَّا أَنَّهُ ليس دائمًا عاملًا نَشِطًا. عندما تولد طفلة فهي بالإمكانيَّة امرأة، لكنها ليست كذلك. يجب أن تكون في الخامسة عشرة من عمرها قبل أن تكون مُنتجة. ومتى تجاوزت الخمسين، مرة أخرى لا يمكنها أن تكون امرأة لأنها تخدم غاية الأمومة لفترة فقط. هذه هي ظروف عابرة بسبب السقوط. لهذا السبب، في المستقبل لن يكون هناك «ذكر وأنثى» «لأَنَّهُمْ فِي الْقِيَامَةِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ، بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةِ اللهِ فِي السَّمَاءِ.» (مت٢٢: ٣٠). في الواقع، لا تعود موجودة بعد القداسة. قبل حياة البركة تكون موجودة. يقول الكثير من الآباء إِنَّهُ لَنْ تكون هناك سوى **سيدتنا والدة الإله** على شكل حواء الأولى، حواء المحبّة، **لأنها تمجَّدت بكلمة الله** إذ حلّ فيها. لكن كيف يحدث هذا، لا نعرف.

† « الأناجيل الأربعة هي باكورة أسفار الكتاب المقدس كلّه، وباكورة الأناجيل الأربعة هو إنجيل يوحنا، الذي معانيه لا يستطيع فهمها من لم يتكئ على صدر المسيح ولا تقبل من المسيح مريم لتكون أمًّا له».

† « من هُم أولئك الذين لديهم الأشواك التي يكللون بها يسوع لكي يهينوه؟ هم أولئك الذين تقبلوا كلمة الله (اللوغوس) ولم ينضجوا ثمرًا، لكونهم اختنقوا بهموم الحياة وغناها ولذاتها».

العلامة أوريجانوس

† « انتبهوا من ألَّا يتخلف أحد عنكم، فأنا لا يبهجني أن تصلُّوا أنتم فقط، ما يبهجني هو أن تعتنوا بالآخرين أيضًا. لا تقل لي: إنسان واحد فقط سيضلّ. فالمسيح من أجل هذا الفرد مات، ألا تعتني بمن مات المسيح من أجله؟».

القديس يوحنا الذهبي الفم

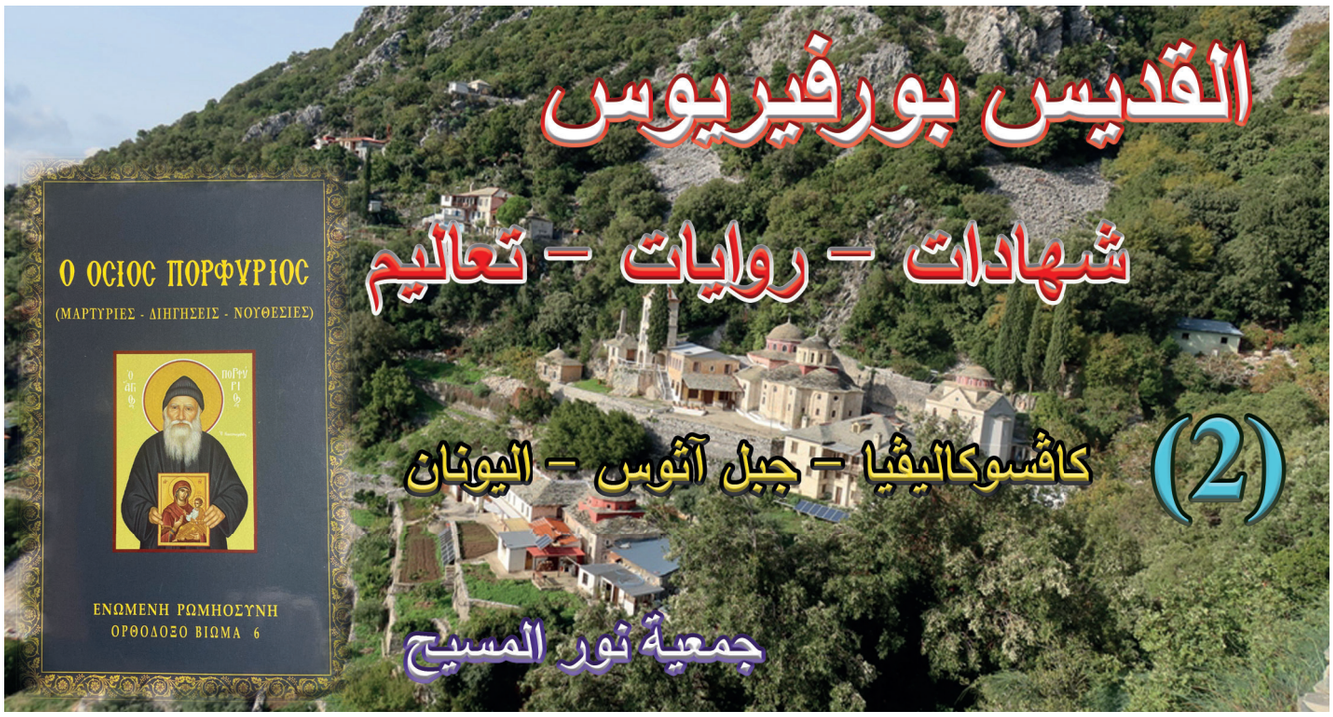

الجزء الأول: شهادات عن القديس

خبرات روحية مع القديس بورفيريوس وعجائب له

شهادات المتوحِّدة ستيلياني، رئيسة دير الضابط الكلّ (باندوكراتوراس):

بداية علاقة القديس بورفيريوس مع الدير:

في التاسع من آذار عام ١٩٦٣، أتينا بأمر رئيس أساقفة أثينا وقتها كيريوس كيريوس خريسوستوموس إلى **دير الباندوكراتوراس** وبعدها بأقل من أسبوع، زار **القديس بورفيريوس** ديرنا لأول مرة. كان يقيم حينها في دير القديس نيقولاوس الذي في كاليسيا، التابع لديرنا. كان يتردَّد كثيرًا على ديرنا مع أولاده الرُّوحانيِّين، وأيضًا كان يشاركنا الصلاة في كثير من الأحيان.

كان يروي لنا، أنَّهُ عندما خرجَ من **الجبل المقدّس** وبعدما أصبحَ كاهنًا، كان يصلِّي إلى **الله** أنْ يريه مكانًا مُقدّسًا، حيث يعيش أناسٌ حياةً نُسكيّة مقرونة بالزُّهدِ والتجارب الرُّوحيَّة. ذهبَ إلى أماكن كثيرة في اليونان، وفي النهاية أتى إلى دير الباندوكراتور "الضابط الكُلِّ". وحسْبَ ما كان يقول: ذهبَ إلى رئيس الدير حينها، حتى يعطيه هذا المكان ليسكنَ فيه، لكنّه طردَه بطريقة سيِّئة. لأجلِ ذلك سكنَ قربنا في دير القديس نيقولاوس–كاليسيا، ليتسنَّى له ممارسة حياة الصلاة عن كثب. من وقتها، كان يرى في حُلمه وعلْمِه –كما كان يَرويها لنا– كلّ ما كان يحدثُ هنا. كان يشدّدُ على أنَّ شهداء الدير القدّيسين لم يصبحوا قدّيسين فقط بدمائهم، بلْ كانتْ حياتهم مقدَّسة أيضًا. كانوا أصدقاء مع **الله**، كما كان **القديسون العظماء باخوميوس، أنطونيوس، افرام السوري، اسحق السوري، باسيليوس الكبير، يوحنّا الذهبيّ الفم**. لم يتركوا وصالهم مع **الله** حتى لدقيقةٍ واحدة. كان يقول بشكلٍ خاصٍ: «اسمعوا ما أقوله لكم، لا يوجد في الأرثوذكسيَّة مكانٌ مقدَّسٌ أكثر من هذا. آهٍ، لو لكم عيون لأبصرتم ما كان يحدثُ هنا، فحيث نتوجَّه، هناك مائدة مقدَّسة (وكان يبكي ناظرًا حوله)، لوجود دماء شهداءَ ورُفاتٍ مقدَّسة. كانتْ هناك قلايات رهبانيَّة كثيرة، تصل إلى أماكن بعيدة في المنطقة. كما حدثَ دمارٌ كبيرٌ بسبب **حسدِ الشيطان**. لكنّكم ستعاينون ماذا سيحدثُ هنا لاحقًا، سيصبحُ مزارًا عظيمًا، سيأتون من أقاصي الأرض لأجل أعجوبة واحدة.»

تشجيع رئيسة الدير:

عندما رقدَتْ رئيسة ديرنا **المغبوطة ستيلياني**، وبعد أربعين يومًا حسبَ قانون ديرنا، تم التصويت لاختيار رئيسة جديدة للدير. وقبلَ الغروب بقليلٍ وبعدما تمّ التصويت، دخلَ **القديس** إلى حيث كانتْ الأصوات موضوعة ووقفَ أمام **هامات القديسين**، ثم هَتَفَ بصوتٍ جهوري داعيًا كلّ الأخوات وقائلًا: «في زمنِ الحرب، يشارك جنودٌ كثيرون ساحة القتال، وبعضهم يهبون كلّ شيءٍ يملكونه ويدخلون قلب النيران. هكذا، يُعطى لهؤلاء وسامًا على تضحيتهم. ثم التفتَ إليّ أنا غير المستحقّة قائلًا: شيءٌ كهذا حصلَ لكِ واختاروكِ رئيسة للدير. انهضي وتقدّمي، لا تخافي، معك المسيح الذي سيرفع الحمل عنكِ.»

بداية حياته الرهبانية

«في ذلك الزمن، كنّا نُعلِّم عقائد الإيمان الرُّومي الأرثوذكسيّ للأطفال في ديرنا العامر، بعد القداس الإلهيّ في كُلّ أيام الآحاد، بعدها نذهب إلى كاليسيا لنرى **الشيخ بورفيريوس**. في بادىء الأمر، كان يكلِّمنا عن تاريخه وكان يدمعُ كلّ مرّة يتحدَّثُ فيها عن بداية حياته الرَّهبانيَّة. كان يُشدِّد على أنّ دخوله **الجبل المقدّس** في عمرٍ صغير كان أعجوبة من تدبير **الله** لحياته. ففي كلّ مرة كان يتذكَّر هذا الأمر في ذهنه، كان يتأثَّرُ، ثم يعترفُ لنا قائلًا: إنّ **الله** عَمِلَ الكثير لي! كلّ حياتي مليئة بالعجائب. الطاعة! ماذا أقول لكم، هذه الطاعة خلّصتني! طاعة مع محبَّة مقرونة بالفرح والغبطة! لقد أحببتُ الشَّيخَيْن اللَّذين كنتُ في معيّتهما حُبًّا حقيقيًّا، فالمحبَّة جعلتني أشعرُ بماذا يريدون مني تحديدًا. كنتُ أعلمُ قبل أنْ يقولوا لي ماذا يطلبون

وكيف يطلبونه بشكلٍ دقيق. كانا يقولان لي شيئًا فأحفظهُ مباشرة، كنتُ أفعلُ هذا دائمًا دون أنْ توجد ردّة فعلٍ داخلي. ولا تنسوا أنَّهُ كان عندي شَيْخَان، وفي كثير من الأحيان كانا يعطيانِني أمرين مختلفين. لم يجعلاني أقوم بأعمالٍ ثقيلةٍ، كنتُ أسقي الحديقة فقط وأتعلَّم صناعة التُّحف الخشبيَّة كحرفة، لم يعلِّماني كيف يجب أنْ أصلِّي. في بداية حياتي هناك، كنتُ أذهبُ معهما للصلوات فقط لا غير. في وقتٍ لاحقٍ، أعطاني شيخي مسبحة وعلَّمني أنْ أصلِّي بها. في البداية لم يعيناني لأعمالٍ خارجيَّة، كلُّ ما كنتُ أعملهُ، كنتُ أقوم به داخل القِلَّاية. بعدها كنتُ اذهب لحرفة التُّحف الخشبيَّة، وفي النهاية كانا يضعانَني لقراءة المزامير بينما كانا يعملان. بعد مرور الحقبة الأولى، حيثُ كبرْتُ قليلًا، كانا يبعثانِني خارج منطقة ديرنا لأنقلَ التراب أو الخشب. ولم أُعطِ لذهني الانشغال بالأباطيل والأفكار السمجة،لا بل كنتُ أُحافظُ عليه نقيًّا، اعتدتُ على ترديد مقاطع كاملة من الأناجيل ومن المزامير والقوانين الطقسيَّة. ما كان يهمّني حقًّا هو وجود كلامٍ مقدَّسٍ في عقلي. لم أشبعْ من تلاوتها والهذيذ بها طوال النهار، دونَ كَلَلٍ أو مَلَلٍ! فبالمحبَّة المقرونةِ بالطاعةِ والصَّلاةِ بشكلٍ دؤوب ومتواصل، كفيلة بتلاشي غيوم الخطايا! هل تسمعون؟ هذه هي الحياة المقدّسة حقًّا، حياة مميَّزة، حياة فردوسيَّة. كان يُسرّ أبواي بيَّ، ربما كانا يحتقرانِني (١) أو يعاتبانِني، حتى عندما كنتُ أفعلُ شيئًا حسنًا، لكنّهما كانا قِدِّيسَيْنِ. علَّماني بطرقٍ كثيرةٍ، لم يقولا لي يومًا: كلمة إطراء وثناء، لقد عملتَهُ حسنًا. كانا ينصحانِني دائمًا أنْ أحبّ الله وأنْ أكونَ متواضعًا، لقد ساعدني التواضع كثيرًا. وإذا لم يعاتبانِني في إحدى المرات، كنتُ أحزنُ قائلًا في ذهني: «للأسف، ليس لديّ شيوخٌ صارمون..» الآن أرى أنَّهما كانا صَارِمَيْنِ، حينها لم أُبصر هذا. وفي بعض الأحيان كنتُ أبالغُ، لكنَّ هذا كان عن أنانيَّة. ففي مرّة، قمتُ بمخالفة الطاعة عن عِلْمٍ، لكنّي كنتُ اعترفُ بها كلّها (فتُغفر لي)، كانت تضمحلُّ حالًا، بعد الاعتراف كان يأتيني فرحٌ كبيرٌ! آمنتُ أنّي قلتُها لله وأنَّ المسامحة قد نلتها من اللهِ ذاته! لا تتصوّرون كم أحسبُ هذا السرّ قويًّا داخلي! لستُ وحدي، فكلّ المبتدئين في عصري كانوا يعتقدون أنَّ أبانا الرُّوحيّ هو مرْكِزُ قلبنا، فبعْدَ الله يكون مقامُ الأب الرُّوحيّ. إنْ فعلْتَ العكسَ، أي عدم طاعة، لم يكنْ بإمكانكَ أنْ تتناول. إذا لم يكن المبتدئُ يحبّ رئيسَ الدير وكان يشكّ فيه، لم يكنْ بقية الأخوة يسمحون له بالبقاء. وخلال سنتين، عندما أصبح عمري أربعة عشر عامًا، أصبحتُ ألبسُ راسو (٢). وأعطوني راسو متّسِخًا وباليًا، حزنْتُ قليلًا، ولكنْ لبعض الوقت فقط. بعدها تذكّرْتُ الرهبان الزَّاهدين الذين يلبسون ملابس صوفيَّة لا يغسلونها أبدًا ولا يخلعونها. فقلتُ: يا إلهي، كلّمتْني في ذات اليوم، يا إلهي، لقد قلتَ لي الكثير.

بعدها بعامين، أخذوني إلى دير اللاڤرا الكبير وأخذنا بركة لأصبحَ راهبًا. وفي الليلة التي سبقَتْ قصّ الشعر (٣)، تجمّعَ كُلّ الآباء، وكلّ الرُّهبان الزَّاهدين في كنيسة دير الثالوث الأقدس. أعطوني اسم «نيكيتاس» كراهبٍ، كنتُ فرحًا جدًّا وصامتًا. كنتُ أريدُ أنْ أكونَ وحيدًا مع الله وحده.

في أحد الأيام، بينما كنتُ أسير في الغابة، سمعتُ صوتًا عذبًا مُطرِبًا. كان عصفورًا يرتّل ويسبّح الله، وكان عندليبًا. كيفَ كان ينفخُ حلقَه، كيفَ كان يكابدُ ويُتعِبُ لسانه ليسبّحَ الله ويمجّدَهُ. لا أستطيعُ أنْ أَصِفَ لكم بما شعرْتُ به، لقد أثّرَ هذا العندليب فيَّ كثيرًا، أشعلَ فيَّ الشغفَ لأذهبَ للصحراء، لأنْ أختفيَ، لأعيشَ في الخفاء، فقط من أجل الله. ما تقومُ به الطيور، يحقّقُهُ الرُّهبان الذين يختفون من أجل العالم ثم يعيشون في الصحراء دون أنْ يطلبوا أي مجدٍ أو شرفٍ أو مديحٍ من العالم. وفي حينٍ لا يتوقّفون عن الصلاة من أجل البشر، ما يزال هؤلاء مجهولين تمامًا، هذا هو الحبّ عديم الأنانيَّة، عشقٌ إلهيّ حقًّا.

١) بمعنى أنّهما كانا يعلّمانه التواضع.

٢) الراسو هو الجلباب الخارجيّ الذي يلبسه الرهبان والكهنة.

٣) قصّ شعر المبتدئ هو دخوله في الحياة الرهبانية، يسمّى هذا السرّ **كورا** κουρά.

من أقوال القديس بورفيريوس الرَّائي

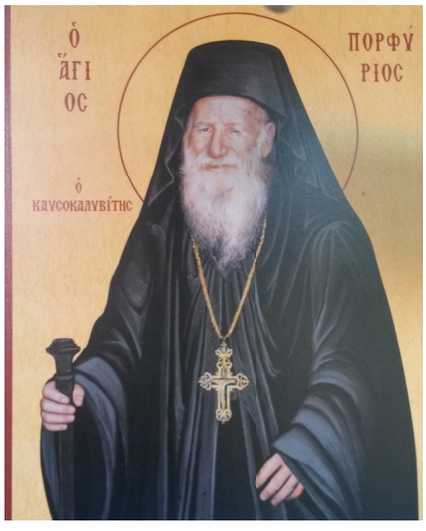

❊ وجّهوا أذهانكم دومًا نحو العلاء، نحو المسيح. اعملوا مع المسيح، عيشوا مع المسيح، تنفّسوا المسيح، تألّموا مع المسيح وافرحوا أيضًا معه. ليكن المسيح كلّ شيء بالنسبة إليكم. المسيح هو عروس نفوسكم، هو أبوكم، هو كلّ شيء. لا يوجد أمرٌ أسمى في هذه الحياة من محبّة المسيح. المسيح كلّه فرح، كلّه غبطة. النفس السَّكْرى بمحبّة المسيح هي دومًا فَرِحَةٌ وسعيدةٌ مهما واجهت من أتعاب وبذلت من تضحيات.

❊ نحن سُعداء بقدر ما نحبّ كلُّ البشر، وعندئذ سوف نشعر بأنَّ الكُلّ أيضًا يبادلوننا الحُبّ. لا يستطيع أحد أن يصل إلى الله إن لم يَمُرّ أوّلًا بالبشر.

❊ لا يستطيع المسيح أن يحبّنا إن لم نكن نحن أهلًا لهذه المحبّة. لكي يحبّنا المسيح يجب أن يرى داخلنا شيئًا مميّزًا. هيّئ نفسك دومًا لاكتساب ما يحبّ المسيح أن تملكه داخلك. وما هو هذا الشيء؟ إنَّهُ التواضع. إن لم نملك التواضع فَلا نستطيع أن نحبّ المسيح.

الفصل الواحد والعشرون

تتمة من العدد السابق.

ومَرَّ لوسيان أمام المدرسة بعد ظُهر يوم سبت، وكانَ شاحب الوجه، هزيل الجسم، ضامرًا. فنظرَ إلى الداخل ثمَّ ذهبَ دونَ كلمة، ودون أن يتمكَّن **نكتاريوس** من أن يسأله عن أحواله، الأمر الذي أحزنه. ثمَّ عادَ لوسيان في فجر أحد الأيام ودخل من البوابة الكبيرة وهو يودّ أن يرى الشخص الذي حلَّ محلَّه فقد كان يتألَّم كثيرًا لاضطراره لملازمة البيت. وإذ التقى **نكتاريوس** في جناح المدرسة الأيمن، تسمَّرَ في مكانه من الدهشة، وارتجفت يداهُ لرؤية هذا الشيخ الذي رفع جبّته وانحنى يفرك الأرض بالفرشاةِ. فقال له **نكتاريوس**:- «إقترب يا ابني لوسيان، واسمعني جيِّدًا: لا تَخَف لأني لن أسلبك وظيفتك. كيف ستعيش بدون عمل؟ وهل أتركُكَ تموت من الجوع لأنَّكَ أُصبتَ بالمرض؟ إنَّها لعنة عظيمة أن يكون قلبنا باردًا إلى هذا الحدِّ. ولكنِّي أريد منك أن تَعِدَني بعدم البوحِ بكلمة واحدة ممَّا رأيته اليوم طالما أنا على قيد الحياة. وألَّا فإنِّي سأُواجه المتاعب وانت ستتعرَّض لفقدان وظيفتك. أنت تُعاني من العوَزِ الشَّديد، وأنا أُساعدُكَ، فأنتَ أخي، إذن ليس هذا بالأمر المستغرب. وقد تضطرُّ يومًا إلى تقديم المساعدة إليَّ أو إلى شخصٍ آخَرَ.

وهنا أجهَشَ لوسيان بالبُكاءِ، ثمَّ انحنى وجثا أمامه وقبَّلَ جُبَّته.

ليسَ للتعب أهميّة عندما ينبغي القيام بالواجب. وكم وكم من الناس – وخصوصًا من عامَّة الشَّعب – يُرَقُّون ويُصبحون طيّبين عندما نُقَدِّم لهم مثلًا بسيطًا جدًّا في طيبة النفس، وهي كحبّة الرَّمل إذا قيست بجبل الذبيحة الإلهيَّة العظيمة.

كان عليه أن يُسافر إلى إيچينا، والكلام سهلٌ. لكنه كان من جديد فريسة المرض منذُ خمسة عشر يومًا.

الفصل الثاني والعشرون

«انْتَظَرْتُمْ كَثِيرًا وَإِذَا هُوَ قَلِيلٌ. وَلَمَّا أَدْخَلْتُمُوهُ الْبَيْتَ نَفَخْتُ عَلَيْهِ. لِمَاذَا؟ يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ. لأَجْلِ بَيْتِي الَّذِي هُوَ خَرَابٌ، وَأَنْتُمْ رَاكِضُونَ كُلُّ إِنْسَانٍ إِلَى بَيْتِهِ. لِذلِكَ مَنَعَتِ السَّمَاوَاتُ مِنْ فَوْقِكُمُ النَّدَى، وَمَنَعَتِ الأَرْضُ غَلَّتَهَا. وَدَعَوْتُ بِالْجَرِّ عَلَى الأَرْضِ وَعَلَى الْجِبَالِ وَعَلَى الْحِنْطَةِ وَعَلَى الْمِسْطَارِ وَعَلَى الزَّيْتِ وَعَلَى مَا تُنْبِتُهُ الأَرْضُ، وَعَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ أَتْعَابِ الْيَدَيْنِ». (حج ١:٩-١١). (**الْمِسْطَارِ = الخمر التي تصرع شاربها**).

«وَكَانَتْ شَيَاطِينُ أَيْضًا تَخْرُجُ مِنْ كَثِيرِينَ وَهِيَ تَصْرُخُ وَتَقُولُ:«أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ!» فَانْتَهَرَهُمْ وَلَمْ يَدَعْهُمْ يَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّهُمْ عَرَفُوهُ أَنَّهُ الْمَسِيحُ.» (لو ٤:٤١).

المكان: جزيرة إيچينا

الزمان: نهاية صيف عام ١٩٠٤ .

خليج تسالونيكي يبلل بجذل شواطىء ايغالوا ونسيتالا وحتى جزيرة للصيادين ترتفع فيها أنقاض معبد قديم.

وعلى السواحل الغربيَّة كانت المدينة الجديدة التي أصبحت الآن معروفة، تمتدُ بألوانها الباهرة عند سفح سلسلة من التلال والوديان الصغيرة والوهاد والسيول. في ذلك اليوم كانت زُرقة السَّماء صافية وعميقة، لا تتخلّلها أيَّةُ بقعةٍ. بالكادِ ارتسمت غيمةٌ صغيرةٌ على قمة التلال، بيضاء ونقيَّة، وكأنَّها تقول للجبل المواجه ولقرية أغيستري الصغيرة: «أنا وحدي في هذا الامتداد الواسع، فلا تخشيا المطر». ولم يَكُن هناك أي احتمال لهطول المطر. والحقيقة أنَّ السَّماء لم تَكُن قد أمطرت منذُ ثلاث سنوات ونصف تقريبًا، عدا بعض الزَّخات من وقتٍ لآخرَ. وكانت التربة عطشى: فكُلّ ما في هذه الأرض يبدو جافًّا على امتداد النظر، في الوديان كما في المرتفعات. وَبَدَتْ الحقول والمزروعات والمراعي كلَّها صفراء يابسة، والأشجار شاحبة وهي تحتضر في الحدائق المقفلة: كان المشهد صحراويًّا. وكانت حجارة السيول تبرق كشرائط بيضاء تتساقط على سجيّتها حتى المدينة، أو باتجاه القرية المجاورة، سوڤالا، وكأنَّها خطوط ضيّقة لامعة وجافَّة.

كان الناس في السُّوق في رواحٍ ومجيء، بانتظار وصول الصيَّادين بمراكبهم الصغيرة. لم يبقَ غير البحر مصدرًا للعيشِ في هذه المنطقة. كان الشَّعب كلّه يعاني من العَوَزِ. عدا قلَّة من الملّاكين الأغنياء الذين يُعَدُّون على الأصابع. جميع أشجار الزيتون يبست. وفي كُلِّ الأنحاء على التلال ظهرت أثلام الحقول المفلوحة، كالجراح الحمراء العميقة، وكأنَّها حُرِثَت منذُ وقتٍ قصير.

كان معظم الشُّبان يذهبون إلى البيريه بحثًا عن العمل، إمَّا على متن البواخر ذات الرحلات الطويلة، أو عند التجار. وكان الكثيرون منهم يهاجرون إلى القسطنطينيَّة وبليتسي وأوديسا. والعديد يُبحرون مع صيَّادي الإسفنج. (يتبع)

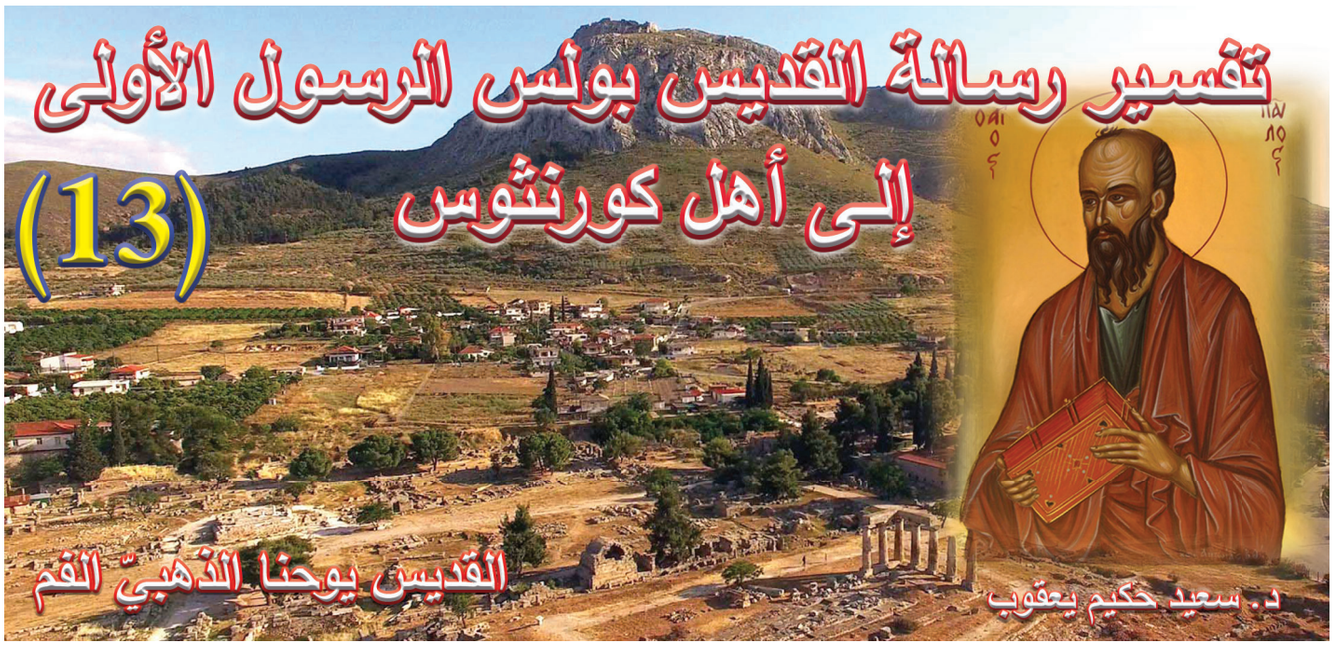

الإصحاح الثاني

العظة السابعة (١كو٢: ٦-١٦)

«لكِنَّنَا نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةٍ بَيْنَ الْكَامِلِينَ، وَلكِنْ بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ مِنْ هذَا الدَّهْرِ، وَلاَ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ، الَّذِينَ يُبْطَلُونَ. بَلْ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللهِ فِي سِرّ: الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ، الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا،» (١كورنثوس ٢: ٦-٧).

١ – يُعتبر الظَّلام هو الأكثر ملاءمة من النُّور لأولئك الذين لهم **عيونٌ مريضة**، ولهذا فهم يُفضِّلون الذَّهاب إلى غرفةٍ مُعتمة أو ذات ظلالٍ خفيفة، وهذا ينطبق على الحكمة الروحيَّة. فحكمة الله تبدو لغير المؤمنين، جهالةً، اعتقدوا أنَّ حكمتهم، والتي هي بالحقيقة جهالة، حكمة حقيقيَّة. وقد حدث نفس الأمر مع قبطان إحدى السفن والموصوف بالحكمة، والذي أعطى وعدًا بأن يعبر عُرض البحر الذي لا حَدَّ له، بدون قارب ولا أشرعة. وبعد ذلك حاول أن يبرهن على إمكانية تحقيق هذا بحجَجٍ ومبرِّرات، ثمّ جاءَ شخصٌ آخَرَ أيضًا، لا خبرة له في أي شيء واستقلَّ سفينة واثقًا في قائدها والبحَّارة المرافقين له، وأبحَرَ مطمئنًا على نفسه أنَّهُ سيصل إلى مقصده بأمان. هذا الجاهل بأمور الإبحار، يُعدُّ أكثر حكمة من ذلك الرُبَّان، لأنَّهُ حتى وإن كانت مهارة الرُبَّان التقنيَّة جيِّدة، إلَّا أنَّهُ عندما يَعِدُ بما يفوق إمكانيَّاته. فهذا يُعتبر جهلًا وحماقةً، وهذا ما توصَف بِهِ أيّ مهنة إن لم تلتزم بحدود قُدراتها.

هكذا هي حكمة العالم، ستكون حكمة، إن كانت خاضعة للرُّوح، إلَّا أنَّهُ اضطُّر إلى توبيخها ودعاها جهالةً، لأنَّها أسندَت كُلَّ شيء إلى قوَّتها، وأصبحت لا تحتاجُ مُطلقًا إلى معونة تلك الحكمة الرُّوحيَّة. على الرغم من أنَّها تُدعَى حكمة. وإذا كانَ قد وصَفَ حكمة الله بالجهالة قائلًا: «لأَنَّ جَهَالَةَ اللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ» (١كو١: ٢٥)، إلَّا أنَّهُ يُبرهن بعد ذلك على أنَّ هذه الجهالة هي الحكمة بعينها. لأنَّهُ ينبغي بعد كُلِّ هذه الدلائل والبراهين، أن يخجل المقاومين أو المعترضين.

ويقول: « لكِنَّنَا نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةٍ بَيْنَ الْكَامِلِينَ» (١كو٢: ٦). بمعنى أنَّهُ عندما أكون أنا، هو ذلك الجاهل، وأكرز بجهالة، ومع هذا أتغلَّب أو أَتَفَوَّق على الحكيم، فلا أكون قد تفوَّقت بحكمة موصوفة بالجهالة، بل بحكمةٍ أكثر كمالًا، بل وعظيمة بهذا القدر الكبير، حتى تبدو تلك الحكمة (العالميَّة)، جهالة. ولأجل ذلك فبعدما دعاها قبلًا جهالة، كما دعاها أولئك آنذاك أيضًا، وبعدما أظهَرَ الغلبة المؤكَّدة، وأظهرَ أولئك بأنَّهم جُهلاء للغاية، نجده بعد ذلك ينسب للحكمة الرُّوحيَّة، الاسم اللائق، قائلًا: « نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةٍ بَيْنَ الْكَامِلِينَ». الحكمة التي يتكلَّم عنها هنا، هي الكرازة، وطريقة الخلاص، أي الخلاص الذي تمَّ بالصليب. هكذا يدعو المؤمنين بالكاملين، وهؤلاء الكاملون هم كُلّ مَنْ عَرَفَ أنَّ الأمور الإنسانيَّة هي أمور ضعيفة، وازدروا بها، صار لديهم يقين أنَّه لا حاجة لديهم لأن يرتبطوا بهذه الأمور على الإطلاق، هؤلاء هم المؤمنون.

ثُمَّ يقول: « وَلكِنْ بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ مِنْ هذَا الدَّهْرِ» (١كو٢: ٦). بمعنى أين هي المنفعة من حكمة هذا العالم المحصورة في الأمور الدنيويَّة. فليس لها أنْ تتقدَّم أبعد من ذلك. هذه الحكمة لا يُمكنها ولا حتَّى في هذه الحياة الحاضرة، أن تفيد أولئك الذين يملكونها في أيِّ شيء؟ وهو لا يدعو عظماء هذا العالم **بالشياطين**، كما يتهمهم البعض، بل أولئك الذين لهم رُتَب ومناصب، الذين لديهم سُلطة، أولئك الذين اعتقدوا أنَّ حكمتهم لها أهميَّة كُبرى، أي الفلاسفة، والخُطباء، والكُتَّاب. لأنَّ هؤلاء تفوَّقوا في مجالاتهم، وكثيرًا ما نجحوا في جذب الشَّعب بأحاديثهم وأقوالهم، وقد دعاهم **الرسول بولس** بعظماء هذا الدهر، لأنَّ قوَّتهم لم تتجاوز هذا العالم الحاضر. لأجل هذا أضاف: «الذين يُبطَلُون»، منتقدًا حكمة هذا العالم من خلال الكلمات التي يستخدمها، وبكلِّ البراهين التي يُقدمها. أي بعدما بَرْهَنَ أنَّ حكمة هذا العالم هي حكمة كاذبة، وأنَّها جهالة، ولا يمكنها أن تُقدِّم أيَّ شيء، وليسَ لديها شيئٌ أو أنَّها ضعيفة، يُبرهن أيضًا على أنَّها محدودة بحدود الزَّمن.

«بَلْ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللهِ فِي سِرّ» (١كورنثوس ٢: ٦-٧).

ما هو نوع السِّر الذي يتحدَّث عنه؟ خاصةً وأنَّ **المسيح** يقول: «الَّذِي تَسْمَعُونَهُ فِي الأُذُنِ نَادُوا بِهِ عَلَى السُّطُوحِ» (متى ١٠: ٢٧). إذًا كيف يدعوها سرًّا؟ لسبب أنَّهُ لا ملاك، ولا رئيس ملائكة، ولا أي قوَّة مخلوقة أُخرى، قد عرفت هذا السِّر قبل أن يتحقَّق. ولأجل هذا يقول **الرسول بولس**: «لِكَيْ يُعَرَّفَ الآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، بِوَاسِطَةِ الْكَنِيسَةِ، بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ» (أف ٣: ١٠). وهذا قد **صنعه الله** لأجل تكريمنا، حتى أنَّ القوَّات السماويَّة تتطلَّع معنا الآن، على هذه الأسرار. أي أنَّنا نعتقد أنَّ الدليل على محبتنا نحو أولئك الذين قد جعلناهم أحباء، هو ألَّا نقول أسرارًا لأحدٍ آخَرَ، قبل أن نعلنها لهؤلاء.

ليسمع هذا كُلّ من يطعن في الكرازة، الذين يكشفون عن اللآلئ بدون تمييز، وكذلك الذين يُعلنون العقيدة للجميع، الذين يطرحون القدسات **للكلاب والخنازير**، ويُعبّرون عن أفكار غير مفيده. لأنَّ السِّر ليس في حاجة لبراهين إنسانيَّة، لكنه قائم كما هو، هكذا فقط يُكرز به، لأنَّ السِّر لا يُدعى سرًّا إلهيًّا كاملًا، عندما تُضيف عليه شيئًا من عندك. وهو يُدعى سرًّا لسببٍ آخر، لأنَّنا لا نؤمن بما نراه، بل نرى أشياء ونؤمن بأشياء أُخرى، مثل هذه هي طبيعة أسرارنا، فشعوري تُجاه هذه الأمور، مختلف عن شعور غير المؤمن. فأنا أسمع أنَّ **المسيح** صُلِبَ، وعلى الفور أندهش لأجل محبَّته للبشَر، ويَسمع نفس الأمر غير المؤمن ويعتبر هذا ضَعفًا. أسمَع أنَّه صارَ عبدًا، وأُعجَب بعنايته ورعايته للبَشَر، ويسمع الجاحد نفس الكلام ويعتبر هذا هوانًا. أسمع أنَّ **المسيح** قد مات، وأُذهَل أمام قوَّته، فمع أنَّه مات إلَّا أنَّهُ لم يُمسَك من الموت، بل قد أبطَلَ الموت، ويسمع غير المؤمن الكلام ذاته، إلَّا أنَّه يفكِّر في الوهن والضعف. وهو حين يسمع عن القيامة، يدَّعي بأنَّ الأمر مجرَّد أُسطورة، أمَّا من جهتي أنا، فإنَّني أقبل هذه الحقيقة بالبراهين، وأسجد لتدبير الله. وهو عندما يسمع عن المعموديَّة، فإنَّه يعتقد أنَّ الأمر مُتعلِّقٌ بالماءِ فقط، لكن أنا أرى ليس فقط ما هو ظاهر، بل أرى **طهارة النفس بالرُّوح**، وهو يعتقد أنَّ جسدي فقط قد استحمَّ، لكنني أثق وموقن بأنَّ نفسي قد صارت **نقيَّة ومقدَّسة**، وأُفكِّر في القبر، والقيامة، والقداسة، والخلاص، والتبني، والميراث، وملكوت الله، وعطيّة **الرُّوح القُدُس**، لأنني لا أحكم على الظواهر بحسب الشَّكل، بل بِأَعيُنِ الذِّهن. أسمع تعبير: «جسد المسيح»، لكنني أفهمه بطريقةٍ، بينما غير المؤمن يفهمه بطريقةٍ أُخرى.

٢- وكما أنَّ الأطفال لا يعرفون قوَّة الكلمات التي تحويها الكُتب، بالرَّغم من أنَّهم ينظرون إليها، بل لا يعرفون ما ينظرون إليه. فينطبق هذا غالبًا على رَجُلٍ لا خبرة له بالمعارف والآداب، لكن ذاكَ الذي لديه خبرة بالمعارف والثقافة، سيجد أنَّ هناكَ قوَّة كبيرة داخل هذه الكُتب، وأنَّ فيها سِيَرًا ذاتيَّة كاملة، ومعلومات تاريخيَّة، فذاك الذي ليست له معرفةٌ في الكُتب لا يُدرك الرِّسالة التي توجد فيها، وسينظر إلى هذه الكُتب على أنَّها ورقٌ وحبرٌ، أمَّا الذي لديه معرفة بالقراءة وله علاقة بالثقافة والآداب، سيسمع من خلالها صوتًا وسيتحدَّث مع الكاتب،

وكُلّ ما يُريد قوله، سيُسجِّله أيضًا في كلمات. هذا عينه هو ما يحدث مع السِّر، فإنَّ غير المؤمنين يعتقدون بأنَّهم لا يسمعون، بالرَّغم من أنَّهم يسمعون، لكن المؤمنين لديهم خبرة قد منحها إيّاهم **الرّوح القُدُس** فَيَرون قُوَّة الأمور الخفيَّة غير المعلنة. هذا تحديدًا ما أعلنه **بولس الرسول** الذي قال: بأنَّ المعنى العميق للكرازة بالإنجيل مكتومٌ الآن. لأنّه يقول: «إِنْ كَانَ إِنْجِيلُنَا مَكْتُومًا، فَإِنَّمَا هُوَ مَكْتُومٌ فِي الْهَالِكِينَ» (٢كو٤: ٣). إلَّا أنَّه يُعلَن بطريقةٍ أُخرى وبوضوح، عظمة وروعة الكرازة. هكذا اعتادَ الكتاب المقدَّس أن يَصِف كُلّ ما يحدث بصورةٍ تتجاوز الرَّجاء والفكر الإنساني. أيضًا يقول **الرسول بولس**: «هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا، وَلكِنَّنَا كُلُّنَا نَتَغَيَّرُ» (١كو ١٥: ٥١). وإن كان يُكرز به في كُلِّ مكان. يبقى سِرًّا. أي كما أنَّنا أخذنا وصيَّة بأن نُكَلِّم الناس في الآذان بكلِّ ما سمعنا، وفي مكان آمن. هكذا أيضًا أخذنا أمرًا بألَّا نطرح قُدْسَنا **للكلاب**، ولا دُرَرَنا أمام **الخنازير**، لأنَّ البعض منهم جِسدانيُّون ولا يفهمون معنى الأسرار، والبعض الآخر لديهم غشاوة على قلوبهم ولا يُبصرون.

وبناءً على ذلك فكُلُّ ما يُكرز به في كُلِّ مكان، يُعتبر سِرًّا ولا يفهمه مَن ليسَ لديهم فكرٌ مستقيمٌ، وهذا السِّر لا يُستَعلَن بالحكمة الإنسانيَّة، بل **بالرُّوح القُدُس**، على قَدرِ ما هو ممكنٌ لنا أن نفهمه. ولا يكون المرء مُخطئًا، إن دَعا هذا بالسِّر الخفيّ، لأنَّه ولا لنا نحنُ المؤمنين قد أُعطِيَ السِّر بوضوحٍ كاملٍ ودقَّةٍ شديدةٍ. ولذلك يقول **الرسول بولس**: «لأَنَّنَا نَعْلَمُ بَعْضَ الْعِلْمِ وَنَتَنَبَّأُ بَعْضَ التَّنَبُّؤِ ...فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ، لكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهًا لِوَجْهٍ.» (١كو١٣: ٩-١٢). ولذلك يقول: «بَلْ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللهِ فِي سِرّ: الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ، الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا» (١كو٢: ٧). كلمة «المكتومة» هنا تعني أنَّهُ لا أحد قبلنا قد عَلِمَ شيئًا عن القوَّات السماويَّة، ولا الكثيرون من أهل العالم الآن يعرفون أنَّ **الله** قد عيَّنها لمجدنا، وإن كان في موضعٍ آخرَ يقول: «لِنَكُونَ لِمَدْحِ مَجْدِهِ» (أف ١: ١٢)، لأنَّه يعتبر

أنَّ مجده هو خلاصنا، كما يقول: «فعيَّنها»، وهذه الكلمة تُعلِن عن عناية الله بِنَا ورعايته لنا، كذلك فَهُم (أي القوّات السَّماويَّة)، مُعَيَّنون لتكريمنا، فهؤلاء الذين هُم أَسمى منَّا، يحبُّوننا على كُلِّ الأحوال، وهم مُستعدون أن يُقَدِّموا لنا كُلَّ ما هو نافعٌ ومُفيد. هذا تحديدًا ما يصنعه الآباء تُجاه أولادهم، فهم لا يقدِّمون لهم أموالًا منذ الصغر، بل فيما بعد، رغم استعدادهم منذ البداية ليفعلوا ذلك.

ويحرص الرسول بولس الآن لأن يُبيِّن أنَّ الله يحبنا منذ البداية وبصفةٍ دائمة، حتَّى قبل أن نولَد، لأنَّه ما كانَ له أنْ يُعيِّن لنا كُلّ هذه الخيرات، ما لم يكن يُحبنا. أرجو ألَّا تُفكِّر في العداوة التي طرأت بعد ذلك، فإنَّ محبَّة الله هي الأساس، فعبارة: «قبل الدهور»، يقصد بها الحكمة الأبديَّة أو المحبة الأبديَّة، لأنَّه يقول في موضعٍ آخر: «الكائن قبل الدهور»، إذًا سيظهر أنَّ الابن أيضًا هو أزلي، لأنَّ الرسول بولس يقول عنه: «الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ» (عب١:٢) ، الأمر الذي يعني أنَّهُ كائن قبل الدهور، لأنَّ ما هو واضح كُلَّ الوضوح، أنَّ الخالق كائنٌ موجودٌ قبل مخلوقاته.

ثمَّ يقول: «الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ، لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ.» (١ كورنثوس٢:٨).

إذًا لو أنَّهم لم يعرفوا حكمة الله، فإنَّهم لا يستحقون الإدانة، وهذا الجهل بحكمة الله هو ما دفعهم لأن يَصلبوه، وإن كانوا لم يعرفوا، فكيف قال لهؤلاء: «تَعْرِفُونَنِي وَتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا» (يو٧:٢٨).

إنَّ الكتاب المقدَّس يقول عن **بيلاطس** إنَّهُ لم يعرفه، وكان متوقِعًا ألَّا يعرفه **هيرودس** أيضًا. ويمكن للمرءِ أن يقول: إنَّ هذين يُمثلان «عُظماء هذا الدهر». ولكن إن قال أحدٌ إنَّ هذا الأمر قيل عن اليهود والكهنة، فهو لا يُخطىء، لأنَّه قال لهؤلاء: «لَسْتُمْ تَعْرِفُونَنِي أَنَا وَلاَ أَبِي» (يو٨:١٩). فكيف يقول: «تَعْرِفُونَنِي وَتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا؟». لقد قيل إنَّ اختلاف هذه المعرفة عن تلك، ترتبط في الأناجيل بكيفيَّة فهمنا، ومنعًا للتكرار، فإنَّنا نُحيل المهتمين (بمعرفة هذه الأمور)، إلى ما قُلناه، فيما يختص بتلك النصوص.

(يتبع في العدد القادم)

الكنيسة مفتوحة للمرتدين البابا بطرس خاتم الشهداء († 310 م)

هذا هو الآن الفصح الرابع منذ بدء الاضطهاد، وقد تحدَّد أنَّ الذين لم يسقطوا (في الارتداد) إلَّا بعد أن احتملوا عذابات أليمة، وانقضى عليهم الآن ثلاث سنوات، وهم مع النائحين، فبعد صوم أربعين يومًا، يُقبلون في الشَّركة، وإن لم يكن قد جرى قبولهم أولًا مع التائبين.

أمَّا الذين احتملوا السجن لا غير بدون تعذيب، فليُضف سنة إلى قصاص توبتهم السَّابق.

أمَّا الذين سقطوا طوعًا دون أن يتعرَّضوا للتعذيب أو السجن، فليُضف أربع سنوات إلى قصاص توبتهم السَّابق.

أمَّا الذين لم يتوبوا، فقد فقدوا كل رجاء، وهم لا يبالون بالخطر.

والذين لجأوا إلى الحيلة، فلم يكتبوا جحودهم للإيمان، أو لم يقدِّموا البخور بأيديهم للأصنام، بل أرسلوا من قام بذلك عنهم من الوثنيين، فهؤلاء يُحكم عليهم بستة أشهر مع التائبين، وإن عفا عنهم بعضُ المعترفين. أمَّا العبيد الذين أرغمهم سادتهم على تبخير الأصنام نيابة عنهم، فيُحكم عليهم بأن يُقيموا سنة مع التائبين.

أمَّا السَّادة الذين أُرغموهم، فيُحكم عليهم بثلاث سنوات مع التائبين، لأنهم مُراؤُون، ولإرغامهم لعبيدهم على تقديم الذبيحة عنهم.

والذين سقطوا أولًا ثم ارتدوا معترفين بأنهم مسيحيُّون، واحتملوا العذابات، فإنهم يُقبلون حالًا في الشركة.

والذين أثاروا سخط الحُكام ليحملوهم على اضطهادهم، واضطهاد إخوتهم، يوبَّخون، ولكنهم لا يُمنعون من الشركة.

والإكليريكيون الذين عرَّضوا أنفسهم للاضطهاد، فسقطوا، لا يجوز قبولهم بعد في خدمة الأسرار المقدسة، ولو ارتدوا فيما بعد واحتملوا العذابات.

إننا نشترك في الصلاة مع الذين يُصلُّون من أجل الذين سقطوا أثناء التعذيبات التي تعرَّضوا لها بسبب الوشايات، لأنهم ينوحون بمرارة وتذلُّل من أجل سقطتهم. « وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ.» (١يو٢:١).

إنَّ الذين ابتاعوا راحتهم وحريتهم بالمال، يحقّ لهم الثناء، «لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟» (مر٨: ٣٦).

وهكذا لا يجوز أن نلوم الذين هربوا وتركوا كل شيء، على الرغم من أن الذين تركوهم خلفهم قد صار نصيبهم أسوأ.

إنَّ الذين احتملوا العذابات حتى فقدوا قوة النُّطق والحركة، ودُفعت أيديهم فوق النار لتقديم الذبيحة الرَّجسة، فلتكن أسماؤهم في الذبيحة مع المعترفين.

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح
المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
IBAN: IL480127260000000111122